إحدى روايات
سلسلة بلا قوة
القوية
رواية
المؤلفة الأكثر مبيعًا عالميًا
لورين روبرتس
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

القويــــة

لورين روبرتس

مكتبة الوادي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مُجرد مكتبة

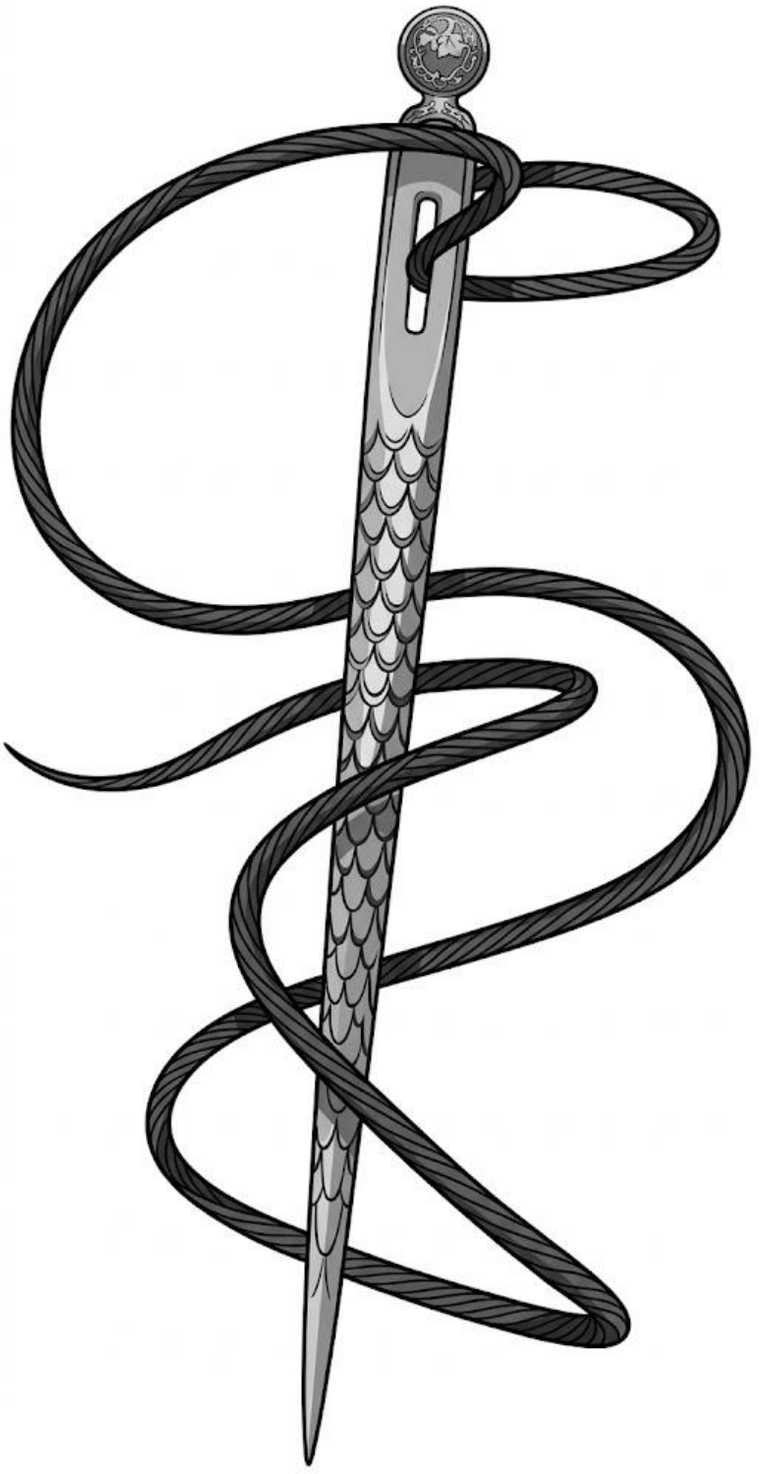

Powerful

LAUREN ROBERTS

القوية

لورين روبرتس

رواية

تم إعداد هذه النسخة الإلكترونية بواسطة
/ مكتبة الوادي

تحرير وتدقيق:
كاميليا

اهداء

مهما كانت أحلامكِ هشّة..

فإن غايتكِ لاتزال "قوية"!

جزرام
جبل الانحدار
ملاذ الأرواح
دور
حلبة "الصحن"
العشوائيات
حي النشالين
الاراضي
المحرقة
بحر المستنقعات
ش
غ
ج
غابة الهمسات
تاندو
إيليا

أفراد النخبة المسجلين

القدرات > 100

العاديون

- **مكبر الصوت** – عرض وتوجيه الصوت < 100
- **كاشف الكذب** – اكتشاف الأكاذيب < 200
- **مفرط (هايبر)** – حواس معززة < 250
- **عالم (سكولار)** – قدرات فكرية < 100
- **بصير (سايت)** – تسجيل وعرض الفيديو عن طريق البصر < 100

الدفاعيون

- **وامض (فلاش)** – الانتقال الآني لأي مكان في مجال الرؤية < 100
- **زاحف (كراولر)** – تسلق الجدران < 225
- **معالج (هيلر)** – الشفاء السريع < 100
- **صانع وهم** – تكوين الأوهام < 100
- **درع (شيلد)** – إنشاء حقل طاقة أرجواني < 170
- **لامع (شيمر)** – التلاعب بالضوء < 125
- **ناقل (ترانسفير)** – غرس القدرات في الأشياء < 100
- **مُخفي (فيل)** – الاختفاء < 130

الهجوميون

- **مشتعل (بليزر)** – التلاعب باللهب < 200
- **مزهر (بلوم)** – التلاعب بالنباتات < 130
- **قوي (براوني)** – قوة بدنية < 250
- **ناسخ (كلونر)** – إنشاء نسخ < 110
- **مزدوج (ديوال)** – استخدام قدرتين < 100
- **عاصف (جاست)** – التلاعب بالهواء < 125
- **مائي (هايدرو)** – التلاعب بالماء < 150
- **مشعل (إجنايت)** – إحداث انفجارات < 100
- **القشرة (شيل)** – بشرة من حجر < 125
- **نائب حركي** – تحريك الأشياء عن طريق العقل < 100
- **كهربائي** – التلاعب بالكهرباء < 100

قاتلين (فاتالز) – 1 من كل نوع في حوزة الملك
متحكم (كنترولر) – التلاعب بالآخرين – 1
قارئ أفكار (ماينـد ريدر) – 1
خامد (سايلنسر) – إخماد قدرات الآخرين – 1

مستحوذ (ويلدر) – الشعور
بقدرات الآخرين
واستخدامها ضمن نطاق
قريب – 1

مقدمة

أدينا

قبل خمس سنوات

يندفع خلفي أضخم رجل رأيته في حياتي. ثم مرة أخرى، على الأرجح أنني أبالغ؛ لطالما أخبرتني أمي عن لعنة أن أُرزق بخيال خصب إلى هذا الحد.

سأكره أن أعلن أنه أضخم رجل رأيته على الإطلاق إن لم يكن يستحق هذا اللقب حقًا. لذا، أسترق نظرة جريئة من فوق كتفي، متفاديةً العربات وحجارة الرصف الناتئة تحت الحذاء العسكري الذي يبتلع قدمي. قالت أمي إنني سأكبر ليناسبني مقاسه، وما زلت أنتظر ذلك اليوم.

لا، إنه بالتأكيد رجل عملاق. يترك القناع الأبيض الذي يرتديه النصف السفلي من وجهه مكشوفًا، ليُظهر وجنتين محمرتين وعبوسًا ملتويًا يتخلل كل لَهْثَة تخرج من صدره.

تصفعني خصلة شعر متشابكة على وجهي حين ألتفت عائدةً بنظري نحو الشارع الممتد أمامي. تتسلل عدة خصلات مجعدة إلى فمي عندما تقرر هبة ريح نادرة الاندفاع عبر ‹حي النشّالين› في طريقها إلى مكان أكثر أهمية بكثير.

أرفع يدي لأبعد تلك الخصلات المتمردة، لِيُذَكِّرَنِي ذلك بالسبب الفعلي الذي يجعلني أهرب من أحد الإمبراطوريين_في المقام الأول.

ينز العسل بين أصابعي، ويقطر بتثاقل من كعكة العسل اللزجة المهروسة في راحة يدي. ربما كنت لأنجو بفعلتي_في محاولتي الأولى للسرقة، لولا أنني تعثرت وسقطت فوق الكشك ذاته الذي حاولت السرقة منه.

ولسوء الحظ، ساءت الأمور أكثر من تلك اللحظة.

اعتذرت بشدة عن السرقة قبل أن أستدير على عقبي وألوذ بالفرار. لفت ذلك انتباه التاجر، ثم الإمبراطوري، والآن أصبح كل من_في شارع السوق شاهدًا على الفوضى التي أثيرها.

ليس الأمر وكأن الإمبراطوري – أو الملك الذي يخدمه – يكترث لقطعة العجين المطهوة أكثر من اللازم والتي سرقتها بحماقة. لا، بل العبرة هي التي يلاحقها؛ المشهد المروع الذي سأشكله عند عمود الجلد الدموي_في قلب ‹حي النشّالين›. الإمبراطوريون يحبون سياطهم، وأنا أحب كعكاتي اللزجة. ولسبب ما، تُعتبر الفتاة الجائعة هي المخطئة.

يقفز الرجال والنساء والأطفال المشردون بعيدًا عن طريقي، رغم أن معظمهم يبدو غير مكترث برؤيتي أندفع مسرعة. فالسرقة_في ‹حي النشّالين› ليست أمرًا نادرًا على الإطلاق. يلعن التجار بينما أتلوى راكضة بين عرباتهم، ورغم ذلك، أصرخ باعتذاراتي لأي شخص يهمه قبولها.

قد يكون هذا أرعب شيء فعلته_في حياتي.

أقصد، إن محاولة خياطة تنورة ذات طيات كانت بلا شك مهمة شاقة، لكن التهديد الذي تمثله الإبر المدببة يتضاءل على الأرجح مقارنة بما يخبئه لي هذا الإمبراطوري.

أُلقي نظرة على الكعكة اللزجة التي تبدو وتشعُر،_في الواقع، تمامًا كما يوحي اسمها.

ما الذي أصابني؟

أصرخ باعتذار للمرأة التي تهرول مبتعدة عن طريقي، ومن المحتمل أن اعتذاري قد ابتلعه صوت لعناتها التي تنهال على اسمي.

الجوع. هذا هو ما أصابني.

لكنني لا أحب أن أُشتم بشكل خاص. في الواقع، لو تسنى لمعظم أولئك الذين يصرخون في وجهي أن يعرفوني حقًا، فأنا واثقة من أنني سأترك انطباعًا محترمًا تمامًا في ظروف مختلفة.

أختلس النظر إلى مطاردي العملاق بينما يتطاير شعري فوق كتفي. لا يزال وجهه شديد الاحمرار كما كان، يندفع نحوي بإصرار.

حسنًا، هو بالتأكيد ليس من فئة الوامض (فلاش)، هذا أمر مؤكد.

عندما أستدير برأسي مجددًا نحو الشارع، يخطف بصري بريق فضي لامع.

تقف الفتاة في طريقي، وتحدق بفضول في المشهد الذي يركض نحوها. ينساب شعر فضي من رأسها، منسكبًا على ظهرها. وإذا خرجت من هذا المأزق سالمة، فأنا مصممة على العثور على قماش يحمل الدرجة اللامعة ذاتها.

أظل متيمة بجمال شعرها حتى أجده فجأة أمامي مباشرة. لم تتحرك هي من مكانها، وأنا لا أنوي إبطاء سرعتي. لذا، ودون تفكير ثانٍ، أركض لأصطدم بها مباشرة.

حسنًا، من الناحية التقنية، ركضتُ وعبرتُ من خلالها.

استخدمت قدرتي كـ عابرة (فايزر) عندما تلاقى جسدانا، ولم أشعر بشيء وأنا أمر عبر جسدها إلى الجانب الآخر من الشارع المفتوح. ولم أجرؤ على النظر خلفي حتى سمعت صوت ارتطام ثقيل بحجارة الرصف ورائي. بالكاد لمحت وجه الإمبراطوري وهو يرتطم بالحجارة قبل أن تبدأ الفتاة بالركض خلفي.

صرخت:

– «لا تتوقفي!»

ولم تكلف نفسها عناء إخفاء الابتسامة التي ارتسمت على شفتيها. كل ما استطعت فعله هو إطلاق ضحكة لاهثة كرد فعل، بينما صببت تركيزي على إجبار ساقيّ المتعبتين على الركض أسرع.

ركضنا حتى جذبتني بقوة نحو زقاق ضيق، متفاديتين المشردين المتجمعين.

أمرتني وهي تواصل سحب ذراعي:

– «من هنا.»

لم نسمح لأنفسنا بالاستناد إلى جدار قرميدي قذر إلا بعد التسلل عبر عدة أزقة مظلمة، حيث أخذنا نبتلع الهواء المغبر بشراهة.

نظرت إليّ، ونظرت إليها.

شيء يشبه الفهم المتبادل بدا وكأنه يستقر بيننا. وكأن الوحدة قد وجدت نظيرتها.

رفعت الفتاة حاجبيها ناظرة إلى الكعكة اللزجة التي لا أزال أقبض عليها بيدي. وقالت:

– «المرة الأولى في السرقة؟»

ابتسمت بخجل:

– «هل الأمر واضح إلى هذا الحد؟»

هزت كتفيها قائلة:

– «قد يظن المرء أن عابرًا (فايزر) سيكون أفضل في الهرب.»

قلت بتنهيدة:

– «انظري، هذا بالضبط ما اعتقدته. وانظري إلى أين أوصلني ذلك.»

امتد صمت قصير قبل أن أندفع قائلة:

– «أوه، لست متأكدة حقًا مما فعلتِه هناك، لكن شكرًا على مساعدتك.»

أومضت ابتسامة على وجهها، وقالت:

– «ليس بالأمر الصعب. لقد مددت قدمي فحسب. إنه خطأ الإمبراطوري لركضه نحوها_في الحقيقة.»

ضحكنا. كان الأمر جميلًا، هذه اللحظة القصيرة من الرفقة. غلف الدفء صدري عندما قهقهت للمرة الأولى منذ وقت طويل. للمرة الأولى منذ وفاة أمي.

رفعت الكعكة اللزجة بيننا وقلت:

– «هل نتقاسمها؟»

ضحكت مجددًا عندما لوحت بالعجين تحت أنفها قائلة:

– «ماذا؟ وعرقك يغطيها بالكامل؟»

قلت وكلماتي مكتومة بسبب القضمة التي أخذتها:

– «أوه، هذا لا شيء. لقد عرقت أكثر أثناء محاولتي خياطة مِشَدّ.»

بدت منزعجة تمامًا من هذا التصريح، وسألت:

– «ولماذا قد تحتاجين إلى مِشَدّ أصلًا؟»

تنهدت بحسرة قائلة:

– «لسوء الحظ، أنا لا أحتاجه. لكن الأثرياء يفعلون.»

رمشت وهي تنظر إلي، وكان هناك شيء ما يختمر خلف عينيها الزرقاوين. سألت:

– «هل تبيعين الملابس؟»

انزلقت عيناي أسفل القميص المتسخ المتدلي من كتفها لتستقرا على البنطال المتجمع عند حذائها. وقلت:

– «أجل، ويبدو أنك بالتأكيد بحاجة إلى البعض منها.»

مررت يدي على كمّها، شاعرة بالقماش الخشن يحتك ببشرتها، وتابعت:

– «لا، هذا لن ينفع على الإطلاق.»

تذمرت قائلة:

– «سرقة الطعام هي أولويتي_في الوقت الحالي.»

تفقَّع الحماس في حلقي على شكل صرخة خافتة:

– «أنتِ تسرقين؟ أعني، تسرقين ببراعة؟»

كررت ببعض التشكك:

– «أسرق ببراعة؟»

واصلتُ حديثي:

– «حسنًا، أيا كان ما فعلتُه للتو فقد كان سيئًا.»

سارعت بالإيماء موافقة، فأكملت:

– «إذًا، هل يمكنك فعل ما فعلته، ولكن، ببراعة؟»

قالت بابتسامة مستمتعة:

– «أي شيء أفضل من ذلك. ولكن نعم، أسرق ببراعة.»

قلت ببهجة قبل أن أمد يدي التي لا تمسك بغنيمتي المسروقة:

– «ممتاز. أنا أدينا.»

أخذت يدي، وبدا أنها تصافحني فقط لتجاريني، وقالت:

– «أنا بيدن.»

قلت وأنا أقسم الكعكة اللزجة إلى نصفين، مقدمة لها جانبًا مهروسًا:

– «حسنًا يا بيدن... أعتقد أنه يمكننا أن نكوّن فريقًا رائعًا.»

رمت قطعة من العجين في فمها وقالت:

– «إذًا، أنتِ تخيطين، وأنا أسرق؟ ونتقاسم المال والطعام؟»

قلت:

– «بالضبط.»

ترددت للحظة قبل أن أضيف:

– «أعني، إلا إذا كان لديك مكان أفضل للذهاب إليه من العشوائيات...»

قالت بسرعة مفرطة:

– «ليس بعد الآن. إذًا، شريكتان؟»

ابتسمت وأنا أتأملها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها وقلت:

– «شريكتان. ومهمتي الأولى هي إلباسك شيئًا أقل بشاعة بكثير من هذا.»

أطلقت ضحكة ساخرة وقالت:

– «أجل، لأن هذه هي الأولوية.»

أخذت قضمة أخرى من الكعكة اللزجة، مدندنة باستمتاع والعسل الحلو يذوب على لساني، وتمتمت بين المضغات:

– «ومهمتك الأولى، هي إحضار المزيد من هذه لي.»

الفصل 1

ماكوتو

اسمها مدرج في قائمة الموتى.

أُضيق عينيّ في ضوء الشمس اللاسع، متفحصًا كل اسم خُطّ بالحبر على اللافتة. يستقر اسمها بين ثمانية أسماء أخرى، ومن المرجح أن يُغض الطرف عنه أسفل اسم الأمير الذي يتوج القمة. ولكن رغم وجوده في القائمة، فإن المنفذ المستقبلي سيفلت بسهولة من الموت الذي ينتظر المتسابقين الآخرين. لأن هذه التصفيات صُممت من أجل أفراد النخبة أمثاله، وليس أمثالها.

تمر عيناي على القائمة مرة أخرى، دون أن أتعرف على أي أسماء أخرى. لم أكن يومًا ممن يتابعون أخبار أيّ من أفراد النخبة الذين تمكنوا من حصد أهمية كافية تؤهلهم لدخول التصفيات.

يصطدم كتف بكتفي، تليه عدة أطراف أخرى تدفعني. يعج حي النشّالين بالأجساد اللزجة وصرخات الاحتفال المدوية، مما يضيف المزيد إلى قائمة الأسباب التي تجعلني أفضل التواجد في أي مكان آخر سوى عشوائيات إيليا. أواجه صراعًا حقيقيًا لأشق طريقي عبر الشارع المزدحم، فكل شبر فيه يعج بجهل متجسد يمشي على قدمين. كل شبر فيه يهتف لكل متسابق اختاروه لتمثيل حي النشّالين.

أدفع طريقي عبر الحشد، متجاهلًا احتفالاتهم.

لم يفعلوا شيئًا سوى إرسال العاديين ونخبة الدفاع إلى حتفهم.

وهي واحدة منهم.

لكن كان يجب أن أكون أنا. أنا من يموت بوحشية. من يموت وحيدًا. من يموت من الأساس.

تصدح في أذني الهتافات تكريمًا لـ تصفيات التطهير السادسة، وكل كلمة منها تذكرني بما فعلته: لا شيء.

لقد أمضيت حياتي كلها أختبئ في ظلها، أتهرب من الحياة ذاتها. والآن تم اختيارها ببساطة لأنها لم تفعل شيئًا من هذا القبيل. عرفها الناس، وأحبوا سحر الشوارع الذي كانت تؤديه بصفتها مُخفية (فيل). ومع ذلك، فهم يحكمون عليها بالموت تحت ستار الشرف.

إنها من نخبة الدفاع. وبالتالي، فهي في حكم الميتة.

وأنا بحاجة إلى العثور عليها.

يداي ملطختان بغبار الفحم، والملابس الجلدية تلتصق بجسدي المتعرّق وكأنني ما زلت أطرق الفولاذ فوق نار لاهبة. كنت قد عملت طوال الليل وواصلت العمل حتى تمكنت الجلبة من سحبي خارج المتجر.

كان ينبغي لي أن أذهب لرؤيتها الليلة الماضية. كان يجب أن أكون هناك عندما علمت بالأمر.

والآن، أندفع بين بحر من البشر، محاولًا العثور عليها قبل فوات الأوان. أمسح الشارع المكتظ بنظري، لألمح عربة تندفع بهدير نحو نهايته. تتوقف بصرير حاد، والخيول تبدو نافدة الصبر تقريبًا مثل السائقين، تتوق للهروب من العشوائيات.

بحق الجحيم، أنا أعرف تمامًا هذا الشعور.

أُدفع إلى الأمام عندما تبدأ الحشود المتكدسة بالتدافع نحو العربة، محيطين بها وكأنهم يعرضون رحلات مجانية للخروج من هذه الحفرة القذرة.

وعلى مضض، أسمح لنفسي بالانجراف معهم، لأتمكن من لمحة خاطفة لها وهي تتسلق إلى الداخل.

يُرشدها أحد الإمبراطوريين للصعود، وعلى طريقة هيرا المعتادة، تشكره بخجل وكأنه لا يرافقها إلى حتفها. كان شعرها الأسود الأملس هو آخر ما رأيته قبل أن تبتلعها الجدران الأربعة، لتجلس في جوف العربة.

يبدو أن العالم يهدأ، وتبطئ دورته مع كل نفس مرتعش أستطيع التقاطه.

لم أتمكن من توديعها.

يجد إبهامي الندبة التي تشق شفتي بشكل متعرج، أتتبعها كما فعلت في اليوم الذي أصبحت فيه حياتي سرًا بحق. يبدأ خدر مألوف بالتسرب عبر جسدي، ليغمر كل ذرة في كياني بالمرارة.

أوشك على الاستدارة والانصراف، عاجزًا عن مشاهدتها وهي تُزفّ نحو موتها.

حينها يخطف وميض فضي بصري.

أحدق من فوق عشرات الرؤوس التي تملأ الشارع، وأراقبها وهي تسير نحو العربة بشعر يخبرني بكل ما أحتاج إلى معرفته.

إذًا، هذه هي المنقذة الفضية الشهيرة.

لقد وصلتني الأخبار عن إنقاذها لـ الأمير كاي حتى إلى أذنيّ – وهو دليل على مدى الأهمية التي اكتسبتها في العشوائيات. ربما أنا متشكك، أو ببساطة الشخص المنطقي الوحيد الذي يعيش في الجوار، لكنني لست مقتنعًا تمامًا بقصة معركتها مع أحد الخامدين (سايلنسر). معركة لم يتمكن المنفذ المستقبلي نفسه من الفوز بها.

وأنا أعرف تمامًا كيف يبدو الأمر حين تكون في حذاء كاي.

أراقبها وهي تصعد إلى العربة عندما تلفت انتباهي شخصية تقفز. تتطاير خصلات شعرها الداكنة المجعدة مع كل محاولة للرؤية من فوق الحشد. يداها مرفوعتان، تلوحان بعشوائية للمنقذة الفضية. تصرخ بشيء يبدو نابعًا من القلب، وعلى الأرجح أنه وداع ضائع لن يُسمع أبدًا.

أنحني متجاوزًا شابتين تهتفان بنشاز مريع لبقية الشارع. أُضيق عينيّ، مكافحًا لتفحص وجه الفتاة وسط قفزها المتواصل. يبدو شيء فيها مألوفًا بشكل خافت، وكأن هذه ليست المرة الأولى التي أحظى فيها بشرف التواجد في حضرة حيويتها الدائمة.

أدير عينيّ بملل عندما تضربني المعرفة.

أوه، أنا أعرف تمامًا من هذه. في الواقع، أعتقد أنها قد انضمت إلى قائمتي المتنامية للأسباب التي تدفعني لعدم مغادرة متجري أبدًا.

كنت أشتري بعض الإمدادات من تاجر كان يتوق لأخذ مالي بقدر ما كنت أتوق للتراجع إلى كوخي المُبجّل. وبينما كنت أضع لفة من الجلد تحت ذراعي، وبخطوات تفتقر بشدة إلى أي حيوية، سمعت أكثر العروض الترويجية سخافة وحيوية مفرطة.

وحينها رأيتها، بشعرها المجعد الذي يتراقص مع كل هزة نشطة من رأسها. كانت تحيط بها كومة ضخمة من الملابس، بينما تصف ما يُعرف عادةً بـ «قميص أزرق» مستخدمةً حوالي دزينة إضافية من الكلمات التي لا لزوم لها.

ربما قلت لها شيئًا أو شيئين، رغم أن تفاصيل محادثتنا لم تكن مثيرة للاهتمام بما يكفي لأضيع وقتي في تذكرها الآن.

كان ذلك قبل عدة أسابيع، لكن لا يمكنني أن أخطئ في أن الفتاة التي تلوح الآن بيديها بجنون في الشارع هي نفسها تلك الخياطة التي تبيع على ناصية أحد الأزقة.

وهي عابرة (فايزر). أعرف هذا القدر عنها. حسنًا، هذا، بالإضافة إلى قدرتها المذهلة على التحدث دون تعب أبدًا.

أراقبها وهي ترسل القبلات في الهواء للمنقذة الفضية، بأعداد هائلة جعلتني أستعد لرؤيتها يغمى عليها. لكنها لم تفعل شيئًا من هذا القبيل، لتتركني أواصل مشاهدة التجسيد المحبب لعاطفتها تجاه هذه الفتاة.

لا يمكن إغفال الصدق في كل تلويحة متخبطة وكل عبارة تصرخ بها. هذه الخياطة تعرف المنقذة الفضية، وبشكل شخصي جدًا على ما يبدو. ومن المرجح أنها مستعدة لفعل أي شيء تقريبًا من أجلها.

يتسابق عقلي بتهور، يحيك الخطط. تبدأ خطة مندفعة بشكل مروع بالتشكل في رأسي، خطة كان ينبغي ألا تتجاوز حدود عقلي أبدًا، فضلًا عن أن تُنفذ على أرض الواقع.

لكن هذا قد ينجح.

هذا تحديدًا ما يفكر فيه المرء قبل أن ينهار كل شيء وتتحول الأمور إلى جحيم.

ثم مرة أخرى، قد يجادل المرء بأن الأمور لا يمكن أن تصبح أكثر سوءًا مما هي عليه.

الفصل 2

أدينا

قصاصات القماش هي رفيقتي الوحيدة.

يبدو الأمر أكثر كآبة مما هو عليه في الواقع. هذه مجرد نوبة وحدة مؤقتة للغاية. بمجرد أن تعود بيدن من التصفيات – لأنني أرفض تصديق وجود أي نتيجة أخرى – ستعود لتنام بهدوء على يساري.

أنزاح قليلًا عند التفكير في ذلك، للتأكد من وجود مساحة كافية لتنام بسلام. أرفض احتلال جانبها، وبدلًا من ذلك، أحتفظ به بكومة القماش الخاصة بي. نصب تذكاري، إن صح التعبير. لكن ليس بطريقة مميتة وكئيبة، بل أشبه بطريقة تعبر عن: «*أفتقدك، ولا تقلقي، أنا أحفظ مكانك*».

الحصن يعج بالتيارات الهوائية الليلة، رغم أن ذلك يعود على الأرجح إلى حقيقة أننا بنيناه من عشرات الأشياء المتفرقة عندما كنا في الثالثة عشرة من عمرنا. الرغبة المفاجئة في تجديد منزلنا الصغير تجعلني أشعر بدوار من الحماس يمنعني من النوم. تستحق بيدن حصنًا أكثر روعة لتعود إليه. رغم أنني أفترض أنها ستكون قادرة على شراء نصف العشوائيات إذا فازت في هذه التصفيات.

كم سيكون مذهلًا إن نجحت في ذلك؟ أن تتمكن من الفوز بما يُفترض أن يُظهر قوة النخبة، بينما هي لا تملك شيئًا من هذا القبيل. ولكن إذا كان بإمكان

أي من العاديين أن يفعل ذلك، فستكون بيدن. ستخدعهم جميعًا بقدراتها كـ متبصرة، لأنها لو لم تخبرني بخلاف ذلك، لكنت على الأرجح ما زلت أصدق قدرتها التمثيلية الفائقة على الملاحظة.

أندس داخل بطانيتنا، وعقلي يطن بالاحتمالات. ثم أومئ لنفسي، مستقرة على مفاجأتي بإعادة تزيين الحصن. ستكون هذه هديتي لها.

لم أدرك أنني غططت في النوم حتى دغدغ شعاع شمس جبهتي.

تدحرجت، ليجد وجهي أن كومة القصاصات مريحة نوعًا ما قبل أن تدفعني الخيوط المتناثرة للعطس. بمجرد أن أنهى أنفي نوبة غضبه، جلست معتدلة، وأبعدت خصلات شعري الملتصقة بجبهتي. كانت عيناي الناعستان بطيئتين في الانفتاح، لكنهما كانتا سريعتين في العثور على البقعة المجاورة لي فارغة.

تلعثمت من مكاني خلف الحصن، غير واثقة مما يجب أن أفعله بنفسي. طوال السنوات الخمس الماضية، لم تكن بيدن تستيقظ إلا بفضل إلحاحي كل صباح. وربما استمتع جزء مني بهذا الروتين، وبكوني أول شخص تراه. رغم أن المهمة بالتأكيد ليست لضعاف القلوب. إنها عنيدة، حتى في نومها.

بعزيمة كنت أفضل ألا أستحضرها في هذه اللحظة، تمكنت من الوقوف على قدمي. استبدلت قميصًا فضفاضًا بآخر، وحاولت تمرير أصابعي عبر خصلات شعري المجعدة والمتشابكة التي كسبتها من ليلة من التقلب. ولم يمر وقت طويل قبل أن أستسلم، كما أفعل كل يوم. لقد قررت أن هذا أصبح الآن جزءًا من روتيني.

بعد أن لففت شعري في عقدة فوضوية عند مؤخرة عنقي، جمعت حزمة من الملابس بين ذراعي وعبرت مباشرة من خلال الحاجز الذي يمثل حصننا.

يكسو ضوء الشمس قمم المتاجر المتداعية بينما أنطلق نحو حي النشّالين، وتزحف أشعتها أسفل الجدران لتتناثر على الرصيف. أبتسم للمشهد قبل أن أقول صباح الخير في صمت للنجم الساطع. لقد كنا دائمًا قريبين، متصلين بطريقة لا يمكنني تفسيرها.

أمرّ بعدة تجار يعدون عرباتهم لليوم، مبتسمة للقلة الذين يقدرون هذه البادرة.

الروتين. مجددًا.

كدت أصل إلى زاويتي عندما هبت نحوي رائحة العجين الطازج. اشتكت معدتي بصوت عالٍ من الرائحة، متذمرة من افتقارها إلى الطعام. ويبدو أن قدميّ استمعتا للشكوى. حملتاني نحو مصدر الرائحة بينما عانقت كومة القماش بقوة أكبر ضد صدري.

هكذا وجدت نفسي أقف أمام عربة تاجر، مكدسة بكعكات العسل اللزجة. أومأ الرجل باقتضاب بينما ابتسمتُ بعذوبة وكأنني لا أفكر في أي شيء غير قانوني. لكن الأمر يبدو وكأن الإغراء قد خُلق خصيصًا لي. معدتي ملحة، ويداي طماعتان لاختطاف قطعة من العجين المزجج بالعسل.

لم أكن يومًا بارعة في الاختطاف، ولهذا السبب لطالما تركت مجال الخبرة هذا لـ بيدن. لكنها تركتني وحدي مع شهيتي وبلا أي صوت للعقل. يا له من مزيج خطير. وجوعي حاليًا يغرق كل ذرة من العقلانية.

لذا، عندما استدار التاجر، أعدت التاريخ.

سرقت كعكة لزجة.

العسل الذي يتسرب بين أصابعي يبدو وكأنه تجسيد حي لشعور الديجافو. أحدق فيه وهو يلمع في راحة يدي بينما أكافح للإمساك بحزمة ملابسي تحت ذراع واحدة. استدرت ببطء، وهمست باعتذار للرجل الذي يبدو طيبًا وأنا أبتعد عن كشكه.

حينها، سقطت التنورة الخضراء ذات الطيات التي قضيت ساعات في خياطتها من الكومة، لتهبط خلفي. استدرتُ على عقبي، وانحنيت لألتقطها قبل أن يلاحظ التاجر و...

صاح التاجر:

– «مهلًا! هل معكِ ثمن هذا أيتها الفتاة؟»

تعثرت خطواتي، ثم انطلقتُ راكضة.

أنا شخص فظيع، يسرق ويهرب من العواقب. ليس لأن بيدن شخص فظيع. لا، بل لأنني ببساطة لم أُخلق لمثل هذه الأمور. لا يمكن لضميري أن يتغاضى عن هذا النوع من الأفعال المروعة.

صرختُ وأنا أشق طريقي في الشارع بأقصى سرعة:

– «أنا آسفة! متأكدة من أنها لذيذة، وتستحق تمامًا المال الذي لا أملكه!»

تملصتُ بين الحشود المتزايدة، وشعرتُ بالملابس تنزلق من بين ذراعي مع كل خطوة أثب فيها. كانت وجوه ضبابية تراقبني وأنا أركض بجوارها، أحدها كان مغطًى جزئيًا بقناع أبيض.

رائع. لقد لفتُّ انتباه أحد الإمبراطوريين.

تمامًا كما فعلت قبل خمس سنوات ولنفس الجريمة بالذات.

كان بإمكاني أن أضحك على غبائي المتكرر. لولا أن بيدن ليست هنا لإنقاذي هذه المرة، مما لم يترك لي خيارًا سوى الركض بمفردي ومحاولة النجاة بجريمتي.

بات الإمبراطوري يطاردني الآن، يصرخ بأوامره لأتوقف عن الركض. أجبرتُ نفسي على تجاهل تهديداته، وركضتُ عبر الزقاق المألوف الذي يضم الحصن في طياته. آلمني جسديًا أن ألقي بملابسي نحو النهاية المسدودة، لكنني هتفت لها مطمئنة:

– «سأعود من أجلكِ!»

ثم أغمضتُ عيني بشدة كي لا أضطر إلى رؤية ملابسي العزيزة وهي تهوي نحو الحجارة القذرة.

متحررة من عبء الصرة، ركضتُ في الشارع وأنا أوبخ نفسي داخليًا على ما اقترفته. رغم أن ذلك لم يمنعني من التهام عدة قضمات من العجين في محاولة لتقليص حجم الأدلة التي تدينني.

انعطفتُ عبر عدة شوارع، قاطعةً الأزقة ومحاولةً ألا أغص بمسروقاتي. كان الإمبراطوري لا يزال في أثري حين انزلقتُ ملتفةً حول أحد المنعطفات و...

التفّت ذراعان ضخمتان حول جسدي، لتجذباني نحو جسد غريب. كانت محاولتي للمقاومة عبثية مقارنة بحجم هذا الشخص الواقف خلفي. كدتُ أصرخ طلبًا لمساعدة أي شخص قد يهتم بإنقاذي، حين أطبقت يد فجأة على فمي، تفوح منها رائحة سخام لاذع أزكم أنفي.

سُحبتُ إلى الخلف، أبعد فأبعد، حتى اصطدم آسري بالجدار و...

واخترقه تمامًا، مجبرًا إياي على فعل الشيء ذاته.

تعثرتُ على الجانب الآخر من الجدار القرميدي، وتخبطت قدماي تحتي. رفعتني ذراع مفتولة العضلات عن الأرض قبل أن أنزلق وأسقط على وجهي. كانت لا تزال هناك يد كبيرة تغطي أنفي وفمي، وكنت أحاول بيأس تخليص نفسي لأتمكن من بصق كل كلمة تُكتم في حلقي.

حينها، عطستُ في باطن كفه.

زمجر:

– «تبًا!»

لم تكد قدماي تلامسان الأرض حتى دُفعتُ بعيدًا عن مصدر ذلك الصوت العميق، وكان أنفي لا يزال يحترق من الغبار الذي يغطي يده. أخذتُ نفسًا عميقًا قبل أن أستدير لمواجهته، محاولةً جمع شتات أفكاري وكبح جماح مشاعري.

لكن يبدو أنني لم أفعل أيًا من ذلك؛ إذ استدرتُ على عقبي في نفس اللحظة التي همستُ فيها بحدة:

– «أنت عابر (فايزر) أيضًا؟»

لو تبقت لديّ فكرة عقلانية واحدة، لتلاشت بمجرد أن وقعت عيناي عليه.

إن كان الخالق يميز بين خلقه، فهذا الرجل بالتأكيد يثبت أن لديه مفضلين.

إنه يحبس الأنفاس بالطريقة التي أتخيل بها طعنة خنجر؛ وسيم لدرجة تخترق الروح. ومثل النصل، كان كل شيء فيه حادًا وباردًا.

وفجأة، انتابني شعور غامض بالألفة عند رؤيته.

رفعتُ رأسي، والتقت عيناي بعينيه الداكنتين، قبل أن تنزلقا نحو عظام وجنتيه الحادتين أسفلهما. تتبعتُ تقوس شفتيه حتى رسمت نظراتي الندبة التي تشقهما. كان كل شيء أسفل وجهه مخفيًا تحت ملابس سميكة مبطنة بالجلد جزئيًا، رغم أن ضخامة بنيته كانت جلية. وكانت أكمامه الداكنة مشمرة بإهمال حتى مرفقيه، لتكشف عن ذراعين مفتولتين ومخططتين بذلك الغبار الأسود الذي جعلني...

قال وذراعه ممدودة أمامه، يرمش محملقًا في كفه بذهول:

– «لقد عطستِ في يدي.»

احتقن جسدي كله خجلًا وأنا أصارع لتجميع الكلمات، فقلت:

– «حسنًا... يدك هي ما جعلتني أعطس.»

أجاب بسخرية جافة وهو يمسح كفه بجانب بنطاله:

– «حقًا؟ لم ألاحظ ذلك.»

تصلبتُ قليلًا من نبرته، لكن عند تذكري لانطباعي الأول السيئ، أجبرتُ نفسي على الابتسام على أمل أن يبادلني الابتسامة. قلتُ ببطء ومماطلة:

– «إذن، أنت عابر (فايزر)؟»

بيده التي سلمت من عطستي، مرر أصابعه الطويلة عبر شعره الداكن. كان مفرقًا وأشعث، وربما طويلًا بما يكفي لربط جزء منه بشريط إلى الخلف. ولكن عندما أبعد الخصلات عن وجهه، لمحتُ خصلة فضية تختبئ بين تموجاته السوداء الخشنة.

توقف قلبي عند هذا المشهد. لقد ذكّرني بـ بيدن.

سأل بفتور وعيناه تنتقلان أخيرًا إلى عيني:

– «ألم يكن اختراق الجدار والمشي عبره دليلًا كافيًا على ذلك؟»

أشك في أنني سأحظى ولو بابتسامة منه في أي وقت قريب. أو حتى بكلمة طيبة في هذا الصدد. لكن هذا لا يعني أنني لا أستطيع المحاولة لكسب واحدة.

ابتسمتُ رغم التعبير الجامد الذي يرتديه، وقلت:

– «آسفة، أمم، لم يسبق لي أن قابلت عابرًا (فايزر) آخر من قبل. أقصد، بالطبع كنت أعرف بوجود آخرين. لستُ مميزة بما يكفي لأكون الوحيدة. رغم أن...»

قاطعني بإيماءة جادة مترافقة مع ما يعتقد على الأرجح أنها نظرة تعاطف:

– «انظري، بقدر ما كان ما ستقولينه بحق الجحيم مثيرًا للاهتمام، نحتاج إلى الدخول في صلب الموضوع. لذا، سأمضي قدمًا وأسمح لكِ بطرح سؤال واحد إضافي قبل أن أغوص في التفاصيل.»

رمشتُ نحوه مذهولة لوهلة:

– «عفوًا؟»

رفع حاجبيه قائلًا:

– «هل أنتِ متأكدة أن هذا هو السؤال الذي تريدين طرحه؟»

تلعثمتُ:

– «مـ-ما هو الموضوع الذي تتحدث عنه؟ ماذا يحدث؟»

قال ببرود:

– «حسنًا، هذان سؤالان. لذا، اختاري أيهما تفضلين.»

حدقنا في بعضنا البعض.

لا يسعني إلا أن أتخيل ما كانت بيدن لتفعله في هذه اللحظة، وبالتأكيد كان سيتضمن خنجرًا. لكنني اخترتُ أسلوبًا أقل عنفًا بكثير– ربما أتمكن من إزعاجه لدرجة تدفعه للخروج من حياتي.

أخذتُ نفسًا عميقًا قبل أن أرسم ابتسامة مصطنعة على وجهي، وقلت برقة:

– «حسنًا. هل يمكنك إدخال يدك عبر الجدار من أجلي؟ لطالما أردتُ رؤية شخص آخر يفعل ذلك.»

رفع يده ليمسح بها وجهه، وقال:

– «بصراحة، لا ينبغي حتى أن أتفاجأ.»

انتظرتُ حتى سار نحو الجدار القرميدي ومد يده، ثم ضحكتُ ببراءة وقلت:

– «أوه، انتظر.»

أخذ وقته في الالتفاف نحوي بينما أضفت:

– «ليس هذا الجدار. لا، أريدك أن تدخل يدك عبر ذاك.»

أشرتُ إلى الطوب المقابل له، مما أكسبني ابتسامة ساخرة من هذا الرجل المجهول الذي لست متأكدة من أنني أرغب في رؤيته مجددًا. وعندما وصل إلى الجدار الذي اخترته، التفت رافعًا حاجبه:

– «هل تفضلين يدًا معينة؟ ربما تلك التي عطستِ عليها؟»

ضحكتُ بخفة:

– «لا، سيكون ذلك سخيفًا!»

امتدت يده اليسرى نحو الجدار.

قلت مقاطعة:

– «بعد تفكير، أفضل يدك اليمنى.»

استدار بتصلب، بالكاد يحتوي فيض انزعاجه، وقال:

– «أية طلبات أخرى؟ ربما أدخل رأسي أيضًا؟ أو قدمي؟»

هززتُ رأسي، مبتسمةً باتساع مبالغ فيه:

– «كلا!»

عاد ليلتفت نحو الجدار. مرت عدة نبضات قلب كان ينتظر خلالها ببساطة. وبعد أن ألقى نظرة من فوق كتفه، رأى أنه من الآمن أخيرًا أن يدخل يده عبر الجدار. راقبتها وهي تختفي في الجانب الآخر، مبتسمة لمدى أُلفة هذا

المشهد بأسره. كان من المريح بشكل غريب أن أجد شخصًا تجري في عروقه نفس القوة. بغض النظر عن مدى وقاحته.

بعد أن حرر يده من الجدار، رمقني بنظرة متعبة وقال:

– «هل أنتِ راضية الآن؟»

عقدتُ ذراعيّ فوق صدري في محاولة لأبدو مخيفة:

– «وماذا لو لم أكن كذلك؟»

مشى عائدًا إليّ، بصوت عميق ونبرة باهتة:

– «أخشى أن الحياة مليئة بخيبات الأمل. والآن، حان الوقت لأخبركِ لماذا أنقذتُ مؤخرتك.»

رمقته بنظرة متسائلة:

– «أجل، كنت أتساءل عن ذلك حقًا. لأنني أتلقى انطباعًا بأنه لم يكن بالتأكيد من دافع الطيبة في قلبك.»

عقد ذراعيه الملطختين فوق صدره المكسو بالجلد قائلًا:

– «بالطبع لا. وبمناسبة الحديث عن ذلك، لماذا بحق الجحيم لم تخترقي أحد المباني وتتخلصي من الإمبراطوري؟»

مع رغبة مفاجئة في الدفاع عن نفسي، رفعتُ ذقني وقلت:

– «حسنًا، أنا... أنا لا أعرف أبدًا ما الذي ينتظرني على الجانب الآخر.»

شتت انتباهي محيطي المظلم، وكأنني أراه للمرة الأولى. كنا نقف في مبنى متداعٍ، مهجور من كل شيء سوى الكائنات التي يُحتمل أن تزحف في أرجائه.

حدق بي لثوانٍ معدودة مثيرة للتوتر قبل أن يصرح:

– «غريب.»

شعرتُ بعينيه تتفحصاني من قمة رأسي إلى أخمص قدمي، وفضلتُ ألا أعرف ما الذي يراه. ربما العرق الذي يكلل جبيني، أو ربما الكومة المتشابكة

من الشعر المتساقطة من كعكتي الفوضوية أصلًا. مسحتُ يدي اللزجة على جانب بنطالي بوعي ذاتي، محاولةً التخلص من بقايا العسل الملتصقة بكفي.

عندما أشاح بنظره أخيرًا، أصبحت نبرته جادة فجأة:

– «حسنًا، أنا... أنا أحتاج إلى مساعدتكِ.»

كاد أن يقلب عينيه عند رؤية ابتسامتي تتسع، بينما سألته برقة واضعة يدي كالكوب حول أذني:

– «عفوًا، هل يمكنك قول ذلك مرة أخرى؟»

تسلل ذلك التعاطف المصطنع إلى ملامحه مرة أخرى حين قال:

– «مستحيل. لقد نفدت كل أسئلتك يا عزيزتي.»

أخذ نفسًا عميقًا وبدأ يذرع المكان جيئة وذهابًا بشرود، ثم سأل:

– «أنتِ خياطة، أليس كذلك؟»

– «كيف عرفت أنني...»

توقفت كلماتي في اللحظة التي بدا فيها أن قلبي قد فعل الشيء ذاته. رمشتُ نحوه، وقد تحولت ملامحه فجأة إلى شيء مألوف لا يمكن إنكاره.

جعلته شهقتي يجفل مندهشًا، واضعًا يده على قلبه.

– «أنت! أنا أعرفك!»

زاغت عيناه بعيدًا عن عيني، وكان الذنب واضحًا في الطريقة التي تتجنبان بها نظراتي بشكل متعمد.

انفلتت الكلمات مني قبل أن أغرس إصبعًا متهمًا في صدره:

– «كنت أعلم أنك تبدو مألوفًا! أنت من صرخ في وجهي في الشارع!»

هز كتفيه بتوتر، وحك مؤخرة رأسه الأشعث بيده، قائلًا:

– «أفضل أن أسميه نقدًا بناءً، لكن يمكنني أن أرى كيف...»

قاطعته:

– «حسنًا، لقد انتقدتَ بلوزتي المفضلة.»

– «وما زلتُ متمسكًا بما قلته. كان ينبغي أن تكون...»

أكملتُ من بين أسناني:

– «حمراء. أجل، أنا أتذكر.»

بدا وكأنه قد يضحك حقًا وهو يسأل:

– «حسنًا، هل بعتيها بعد؟»

عجزتُ عن النظر إليه وأنا أتذمر:

– «لا، الزبون اتفق معك.»

أغمض عينيه، يحارب صراعًا داخليًا ما جعله يزفر الهواء ببطء، قبل أن يقول:

– «يا له من سوء حظ مروع بالنسبة لكِ أنهم كانوا يمتلكون ذوقًا رفيعًا.»

اصطكت أسناني ببعضها، وهو شعور غريب مليء بالإحباط. هذا الرجل، حتى الآن، لا يُطاق إلى حد ما. لم يسبق لي أن قابلت شخصًا باردًا ومتعاليًا إلى هذا الحد. إنه لأمر مثير للإعجاب حقًا، قدرته على إثارة حنقي حتى أنا.

هذا التفكير جعلني فجأة أشد على فكي وأضع هدفًا جديدًا لنفسي. أرفض من الآن فصاعدًا أن أمنحه متعة إزعاجي.

ولهذا السبب أخفته بابتسامة واسعة وأنا أقول:

– «إذن، لماذا تحتاج إلى مساعدتي؟»

استغرق الأمر منه لحظة ليتعافى من تحولي العاطفي المفاجئ.

تنهد قائلًا:

– «انظري. شخص مهم جدًا بالنسبة لي تم إرساله للتو إلى التصفيات.»

بحثت عيناه في عيني وهو يتابع:

– «وأنتِ تعرفين تمامًا كيف يبدو هذا الشعور.»

تلاشت كلماتي وقطبت حاجبي في حيرة:

– «كيف لك أن...؟ كيف تعرف ذلك؟»

تنحنح موضحًا:

– «كنت في الشارع عندما توقفت العربة لنقل المتسابقين إلى القلعة. راقبتُ هيرا تصعد إليها قبل أن تتبعها المنقذة الفضية. حينها رأيتك، تقفزين وتلوحين لها وكأنها تمثل لك كل شيء.»

همستُ:

– «هذا لأنها كذلك حقًا.»

بصق الكلمات وكأنها تركت طعمًا مريرًا في فمه:

– «حسنًا، لا أعرف عنكِ، لكنني لم أتمكن أبدًا من توديع كل شيء بالنسبة لي. لن تنجو هيرا من هذه التصفيات. ولهذا السبب أحتاج إلى مساعدتكِ.»

جمعتُ بين نظرة متعاطفة وهزة من رأسي وأنا أسأل:

– «وما الذي يمكنني فعله؟»

تقدم نحوي ملغيًا المسافة بيننا، وتدفقت الكلمات من فمه ملحة وأكثر صدقًا من أي وقت مضى:

– «أحتاج إلى الدخول إلى القلعة ورؤيتها لمرة أخيرة. هناك شيء يجب أن أعطيه إياها. أعلم أن الأمر قد يبدو جنونيًا، لكن إذا تمكنتِ من جعلي أتنكر كأحد الإمبراطوريين، فيمكنني اختراق الجدران والتجول في القلعة دون خوف من أن يُقبض علي.»

انفرجت شفتاي بينما طمست الصدمة كل المشاعر الأخرى:

– «تريد مني أن أجعلك تتنكر كأحد الإمبراطوريين؟»

رد متسائلًا:

– «هل لديكِ فكرة أفضل؟»

توصلتُ سريعًا إلى استنتاج مفاده أنني لا أملك، في الواقع، فكرة أفضل. استقرت يداي على خصري وأنا أنظر إليه بعناد:

– «ولماذا قد أرغب في مساعدتك؟ لم تترك بالضبط انطباعًا أوليًا جيدًا.»

توقفت لوهلة، ثم أضفت:

– «في أي من المرتين اللتين التقينا فيهما.»

تنهد ورفع يده ليمرر إبهامه على الندبة التي تشق شفتيه:

– «حسنًا، جاذبيتي ليست للجميع. لكنني أؤكد لكِ أن هذا سيكون مفيدًا لكلينا.»

عبستُ سائلة:

– «وكيف ذلك؟»

– «كبداية، من الواضح جدًا أنكِ بحاجة إلى... المساعدة.»

كنت على وشك الاعتراض عندما رفع يده المغطاة بالسخام، مُسكتًا لساني.

– «هل أحتاج إلى تذكيرك بمحاولتكِ الصغيرة للسرقة قبل قليل؟»

أصدر صوت استنكار (تسك)، وهز رأسه برفض مضيفًا:

– «يمكنني أن أقدم لكِ الطعام. الماء. المؤن. كل شيء.»

يا له من عرض مغرٍ إلى حد لا يصدق. يعلم الطاعون أنني لن أصمد طويلًا بدون وجود بيدن هنا لتسرق لي قوتي.

غيرتُ وقفتي وسألته:

– «وماذا أيضًا؟»

أحنى رأسه قليلًا، بنظرة ثاقبة:

– «فرصة لرؤية أعز صديقاتكِ مرة أخرى قبل فوات الأوان.»

استشطتُ غضبًا من تلميحه:

– «بالطبع سأراها مرة أخرى. عندما ينتهي كل هذا.»

كانت كلماته جليدية بما يكفي لترسل قشعريرة أسفل عمودي الفقري:

– «ولكن ماذا لو لم تفعلي؟»

ابتلعتُ ريقي، كارهةً حقيقة أنني حتى أفكر في كلماته:

– «إذن، سأذهب معك. إلى القصر.»

أومأ ببطء، فتابعت:

– «وسأذهب لرؤية بيدن بينما ترى أنت هيرا؟»

أومأ مرة أخرى:

– «على حد علمي، من المفترض أن تكونا في نفس الجناح من القلعة أثناء التصفيات. رغم أنه، ومما يثير الانزعاج، ليس لدي أدنى فكرة عن مكان هذا الجناح.»

أومأت متفهمة وتنفستُ بهدوء:

– «ولهذا السبب تريد زيًا إمبراطوريًا. لتتمكن من التجول في الأروقة بحرية بينما تبحث عن الجناح.»

– «بالضبط.»

مد يده الملطخة بالسخام، ومالت شفتاه قليلًا فيما قد يُعتبر ابتسامة:

– «هل اتفقنا؟»

ارتفعت عيناي من كفه الملطخة إلى وجهه:

– «لم تسألني عن اسمي.»

زفر الهواء بضيق:

– «آسف، كنت مركزًا على تفاصيل أكثر أهمية.»

وعندما رأى النظرة الخالية من التعبير على وجهي، تذمر قائلًا:

– «بكل الوسائل، تفضلي وتكرمي عليّ بمعرفة اسمك. أنا أجلس على حافة مقعدي من الحماس.»

ابتسمتُ بإشراق:

– «أنا أدينا. شكرًا جزيلًا على سؤالك. وما هو اسمك؟»

بعد أن رمقني بابتسامة ساخرة، أجاب على مضض:

– «نادني ماك.»

– «حسنًا يا ماك –»

مددتُ يدي لأقبل مصافحته الخشنة وتابعت:

– «لقد أصبح لديك شريكة الآن.»

– «حسنًا يا شريكتي، علينا العمل بسرعة. لم يتبقَ الكثير من الوقت قبل أن تبدأ التصفيات.»

الفصل 3

ماكرتو

قلت:

– «أفترض أنكِ تتضورين جوعًا، بالنظر إلى أنكِ غامرتِ بحياتكِ من أجل كعكة عسل لزجة.»

سقط فكها في تعبير صدمة هزلي، وزاغت عيناها في كل مكان عدا الشارع المزدحم أمامنا. وقبل أن تتفوه بكلمة، لففتُ ذراعي حول كتفيها، وقلبتُ عيني، ثم جذبتها بعيدًا عن مسار عربة متدحرجة.

وبدا أنها بالكاد لاحظت هذا الإرباك، إذ لم يتزحزح تعبير الصدمة عن وجهها. قالت مقاطعةً نفسها، وهي تتلفت بتوتر وكأن أحد الإمبراطوريين قد ينقضّ عليها بمجرد ذكر مثل هذه الجريمة الشنعاء:

– «كيف عرفتَ أنني سرقت...»

ولم تهمس إلا بعد أن تأكدت من أمان المكان:

– «كيف عرفتَ أنني سرقت كعكة لزجة؟»

أجبتُ بفتور:

– «لا يزال العسل يلطخ يدكِ.»

جعلها ذلك تخفي ذراعيها خلف ظهرها بتعبير خجل، فتابعتُ:

– «وبعد رؤية الإمبراطوري يطاردكِ، حسنًا، أنا عبقري بما يكفي لأربط الخيوط ببعضها.»

يبدو هذا كله مفعمًا باللامبالاة، رغم أن الحقيقة ليست كذلك على الإطلاق. لقد كنتُ في الواقع أراقبها طوال الصباح، ورأيتُ محاولتها البائسة للسرقة. لكنني احتفظتُ بكل هذا لنفسي بالطبع؛ لأن لدي خطة يجب تنفيذها. خطة في غاية الغباء، ومختلة قليلًا.

سألت رافعةً حاجبها في ارتياب:

– «عبقري، هاه؟»

أجبت:

– «هكذا أصف نفسي.»

همهمت قائلة:

– «فهمت.»

مشينا في صمت، لا يحيط بنا سوى صخب الشارع. كانت ثماني ثوانٍ من النعيم المطلق.

سألت:

– «هل لديك وظيفة؟»

رمقتها بنظرة جانبية متأملًا تعبيرها المبهج، وأجبت:

– «أعمل لحسابي الخاص.»

هذه المرة، صمدت ست ثوانٍ بالتمام قبل أن تتحدث مجددًا:

– «أية هوايات؟»

قلتُ وأنا ألاقي نظرتها قبل أن ينزلق المزيد من السخرية من لساني:

– «خدمة ذاتي. مقترنة ببعض كراهية الذات بين الحين والآخر.»

جذب الإحباط شفتيها إلى عبوس، سارعت بخنقه بواحدة من ملاحظاتها الحيوية العميقة:

– «حسنًا، ألا تبدو متحدثًا لبقًا!»

نظرتُ إليها بطرف عيني وقلت:

– «تعلمتُ ذلك بنفسي.»

كان النفس العميق الذي أخذته مسموعًا حتى وسط الصخب المستمر الذي يميز ‹حي النشّالين›. كدتُ أبتسم؛ لأنني شخص فظيع لا يصدق أن أحدًا يمكن أن يكون سعيدًا إلى هذا الحد. وربما تكون كذلك حقًا، رغم أن السبب الأرجح هو أنها لم تعرفني جيدًا بعد.

ربما *أحطمها تمامًا*، بالنظر إلى أنني قد أكون أسوأ كوابيسها – نقيضها التام. وسأكون بذلك أسدي لها معروفًا في الواقع؛ أوسع نطاق مشاعرها، وأجعلها تعتنق أي شعور آخر عدا هذه الحيوية الدائمة التي لا تُطاق.

باستراق النظر، راقبتها وهي تميل برأسها نحو السماء، فبشرتها تتوهج تحت الأشعة الدافئة التي تداعب وجهها. كان قميصها الأرجواني الفاتح ينزلق عن ذراعها، كاشفًا عن ترقوة رقيقة وكتف داكنة. انسحبت عيناي فوق تجعيدات شعرها الأسود التي تتراقص متناغمة مع كل خطوة تخطوها. كانت خصلات الغرة التي تعبث بها الرياح تنسدل على عينيها العسليتين، اللتين تلمعان بنوع من السكينة لا تنتمي أبدًا إلى العشوائيات.

لم تراودني فكرة ساخرة واحدة تنفي حقيقة أنها قد تكون أجمل امرأة حظيتُ بمتعة النظر إليها. كانت مسالمة لدرجة مخيفة – وهو تناقض في حد ذاته. وكدت أرغب في احتقارها لهذا السبب؛ لأنني أخشى أن تكون هناك فرصة لأن أبدأ في الاستمتاع برفقتها.

مَطّت الكلمة، مانحةً إياي وقتًا كافيًا لأتوقف عن التحديق فيها قبل أن أُضبط متلبسًا:

– «إذًا، إلى أين تأخذني؟»

أضفت بفتور:

– «إلى مكان من المحتمل أن يجعلك تعطسين عليّ. لذا، سأبقي مسافة بيننا.»

هزت كتفيها قائلة:

– «طالما أنك قريب بما يكفي لتؤنسني.»

أثار هذا للأسف اهتمامي فقلت:

– «لا أتذكر أن هذا كان جزءًا من الاتفاق.»

نظرت إلي وكأن هذا من المسلمات وقالت:

– «هذا لأنه جزء من صفقة التعرف إليّ.»

سألت:

– «هل تضعين أي قواعد أخرى يجب أن أكون على دراية بها؟»

كان تعبيرها تجسيدًا لهزة كتف وهي تقول:

– «أنا لا أحب الجزر. لذا، لا تجلب لي أيًا منه من فضلك.»

نقرّت بإصبعها النحيل على شفتيها وكأنها تتأمل شيئًا يفوق موضوعنا الحالي أهمية بكثير، وأضافت:

– «أوه، وأنا أفزع بسهولة شديدة عندما أكون مندمجة في الخياطة، لذا لا تتسلل من خلفي أو تفعل أي شيء من هذا القبيل. قد أطعنك بإبرة، لذا اعتبر نفسك محذرًا.»

تنهدتُ مجيبًا:

– «عُلم. أية مطالب أخرى؟»

ارتسمت ابتسامة ماكرة على شفتيها وهي تقول:

– «أتوقع الحصول على كعكة لزجة كل يوم. كمكافأة على عملي الشاق بالطبع.»

مررتُ بعينيّ على طول جسدها النحيل وقلت:

– «حسنًا، هذه إحدى الطرق لتكسية عظامكِ ببعض اللحم.»

مُعيدًا انتباهي إلى الشارع المزدحم، اضطررتُ لتفادي عدة عربات إلى جانب الأطفال المتدافعين الذين ينسجون طريقهم بينها. وهو ما يعني، بدوره، أنني أوجه أيضًا أدينا الغافلة عما حولها بشكل مثير للقلق.

سألتها بنبرة اتهام:

– «إلى ماذا تنظرين؟ لأنه بالتأكيد ليس الشارع الذي أمامكِ.»

ابتسمت قليلًا لمحيطنا وقالت:

– «من الواضح أننا نرى العالم بطريقة مختلفة تمامًا.»

قلت:

– «انظري إلى العالم كما تشائين، لكن على الأقل انتبهي لخطواتكِ أثناء ذلك.»

توقفتُ لفترة كافية لأستوعب كلماتي الخاصة. ثم رمقتها رافعًا حاجبي في دهشة وأضفت:

– «كانت تلك نصيحة جيدة. يجب أن تدونيها.»

ضحكت، ورغم يقيني أنها تضحك على حسابي، إلا أنني لا أزال أستمتع بصوت ضحكتها الذي يغمرني.

قالت:

– «نعم، حكيمة للغاية.»

أومأتُ برأسي في اتجاه تاجر وعربة أقمشته الملونة وسألت:

– «كم تحتاجين من أجل الزي؟ بضعة ياردات؟»

كنتُ متجهًا نحو الألوان المذهلة المعروضة عندما أطبقت يد على عضلة ذراعي.

صاحت بانفعال ونفاد صبر:

– «ماذا تظن نفسك فاعلًا؟ أحتاج إلى أخذ مقاساتك قبل شراء أي قماش.»

قلت بجفاف:

– «لا بد أنكِ تمزحين. لماذا لا نشتري البعض الآن، ثم...»

قاطعتني بصرامة مفاجئة كادت أن تفزعني:

– «سنفعل هذا بطريقتي يا ماك. أو لن نفعله على الإطلاق.»

رفعتُ كفي في استسلام مصطنع وقلت:

– «حسنًا. أنا مصدوم لأنكِ تمكنتِ من التوقف عن الابتسام لفترة كافية لتوبيخي.»

ابتسمت عند سماع ذلك، مما يثبت وجهة نظري أكثر. وبعد بضع خطوات أخرى في الشارع، أومأتُ نحو الزقاق الذي يقع على يميننا وقلت:

– «من هنا.»

تبعتني عن كثب، كظلٍ شديد القصر يلتصق بعقبي. قدتُها عبر الزقاق، متوقفًا خارج أحد أبواب المتاجر العديدة المحاطة بالطوب المتداعي. وبعد أن اصطدتُ مفتاحًا من جيب يزين ملابسي الجلدية، بدأ الروتين المتمثل في حشر الحديدة المسننة بالقوة داخل القفل.

ولم ينفتح الباب على مفصلاته الصدئة المزعجة إلا بعد أن صدمتُ كتفي بقوة ضد الخشب. أسندتُ ذراعي عليه، مشيرًا لها بالدخول. وبعد أن أهدتني ابتسامة سريعة، راقبتها وهي تستوعب كامل حياتي بنظرة واحدة شاملة.

سارت تتفقد أرجاء ما يمكن وصفه تجاوزًا بأنه كوخ متواضع مُجمّل. من الغريب حقًا أن تشاهد شخصًا يستوعب الفوضى التي تمثلني.

مررت أصابعها على الأدوات المتنوعة والقطع المعدنية المتناثرة بإهمال في أرجاء الغرفة. كانت طبقة رقيقة من غبار الفحم تغطي أي شيء يقع بالقرب من الموقد الضخم، لتلطخ نصف الغرفة بالسخام.

تجري أحداث حياتي بأكملها في هذا الحيز الصغير. في النصف الأول من المكان، أكسب لقمة عيشي كحداد. بينما يقبع سرير فوضوي في الجانب الآخر، ترافقه عدة خزائن غير متناسقة مليئة بما يتيسر لي من ملابس وطعام.

بدت وكأنها تبتعد بخجل عن ذلك الجزء الحميمي من الغرفة، رغم أنني راقبتُ نظراتها تتلكأ على أغطية سريري المجعدة. شردت عيناها عائدة إلى مجموعة الأسلحة المصطفة على الجدران قبل أن تنقر على السندان الكبير بجوار الموقد وتقول:

– «أنت حداد.»

عقدتُ ذراعي على صدري مجيبًا:

– «يا لكِ من شديدة الملاحظة بشكل لا يصدق.»

تجاهلت تعليقي وسألت:

– «لمن تبيع هذه الأسلحة؟»

هززتُ كتفي قائلًا:

– «لأي شخص ذكي بما يكفي ليرغب في اقتناء واحد.»

قوبلتُ بنظرة متسائلة تحثني على التوضيح، فأضفت:

– «كل شخص في العشوائيات يجب أن يمتلك وسيلة للدفاع عن نفسه. البقاء للأقوى.»

تسمرت عيناها على رفوف الأسلحة المتعددة، وعبست بجدية وهي تقول:

– «أعتقد أنني لم أرَ ‹حي النشّالين› بتلك الطريقة من قبل. لطالما شعرتُ وكأنه وطن.»

ابتلعتُ ريقي وقلت:

– «الأوطان عادة ما تكون أكثر ما يؤذيك.»

عند ذلك، صمتت لفترة طويلة مثيرة للدهشة. حتى قطعت صمتها متسائلة:

– «إذًا، أنت ببساطة تسلّم أي شخص السلاح الذي يريده؟»

استندتُ إلى الجدار، أراقبها وهي تتأمل صنيع يدي، وقلت:

– «حسنًا، هم عادةً يطلبون مني أن أعلمهم كيفية استخدام السلاح الذي يختارونه.»

استدارت لتواجهني بابتسامة مصدومة:

– «وأنت تساعدهم؟»

– «لا تتظاهري بكل هذه المفاجأة.»

ضحكت مدافعة عن نفسها:

– «آسفة، كل ما في الأمر، أنني ظننتُ أنك لا تملك أي خير في قلبك لتقدمه؟»

سخرتُ قائلًا:

– «حسنًا، ليس لكِ بالتأكيد. لن أهدر أيًا من طِيبتي على شخص يمتلك منها فيضًا واضحًا بالفعل.»

ضحكت مرة أخرى، ورغم أن ذلك لم يكن مقصدي، إلا أنني لا أشتكي من النتيجة.

قالت:

– «سأعتبر ذلك مجاملة.»

غمغمتُ قبل أن أبتعد عن الجدار وأخطو نحوها:

– «بالطبع ستفعلين.»

أمالت رأسها لأعلى لتلاقي نظرتي وسألت:

– «هل أنتَ مستعد لأخذ مقاساتك؟»

– «وهل أملك خيارًا؟»

تهلل وجهها وهي تقول:

– «كلا!»

مسحت الغرفة بعينيها بحثًا عن شيء ما قبل أن تسأل أخيرًا:

– «هل لديك شريط قياس؟»

بعد النبش في خزائني المكدسة، عثرتُ أخيرًا على شريط القياس الملفوف الذي خزنته بعيدًا. سارعت أدينا بفكه قبل أن تقتادني إلى وسط الغرفة.

عندما تنحنحت، نظرتُ إليها متسائلًا.

قالت وعيناها تزيغان بعدم ارتياح:

– «أمم، سأحتاج منك أن تخلع قميصك.»

وقبل أن أتمكن حتى من فتح فمي، بدأت تهذي بسرعة:

– «انظر، لا يمكنني الحصول على قياس دقيق مع كل هذه الجيوب في ملابسك. أقصد، يمكنك الاحتفاظ ببنطالك لأن البناطيل التي يرتديها الإمبراطوريون فضفاضة بطبيعتها، لذا فإن القميص فقط هو ما يجب خلعه. ما لم تكن لا تريد ذلك بالطبع...»

تنهدتُ وأنا أنزع القميص عن جسدي بحركة واحدة سريعة، وقلت:

– «هذا لا يستحق شرحًا مدته عشر دقائق.»

انزلق القميص بسهولة فوق رأسي، بالنظر إلى أنه مصنوع في الغالب من مادة مرنة مع لوح جلدي واقٍ في الأمام.

ألقيتُ القميص على الأرض، مراقبًا عينيها وهما تتبعان الحركة بينما تتجنب تمامًا رؤية صدري العاري. ضيقت عينيها ناظرة إلى القماش المتجعد قبل أن تنحني لتمرر أصابعها عليه، وسألت:

– «الجلد يمنع معظم الشرر من حرق بشرتك؟»

عندما أومأتُ موافقًا على ملاحظتها، أضافت بنعومة:

– «لكن الباقي يظل منفذًا للهواء بما يكفي لارتدائه بجوار النار.»

أضفت ببساطة:

– «والجيوب عملية فقط للأدوات المتنوعة.»

رسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها وقالت:

– «يذكرني بشيء صنعته لـ بيدن. باستثناء أن الجيوب كانت للمسروقات.»

خيّم علينا الصمت لعدة نبضات قلب بطيئة.

– «حسنًا، مُدّ ذراعيك لي من فضلك.»

أطعتُ على مضض، واقفًا أمامها بصدر عارٍ وذراعين ممدودتين. سارعت بتمرير شريط القياس على طول كل طرف، لتدون المقاسات على قصاصة ورق التقطتها. كانت عيناها تتجولان على جسدي، دون أن تستقرا طويلًا على أي بقعة من الجلد على وجه الخصوص. لكن لم يفتني حركة حنجرتها وهي تبتلع ريقها، ولا لمسة أصابعها الخفيفة. والتي كانت باردة بشكل لا يُصدق.

كانت تفوح منها رائحة العسل، رائحة السعادة المتجسدة. وكان ذلك يشتت انتباهي كليًا.

ثم مدّت ذراعيها خلف ظهري، محيطة شريط القياس حول صدري.

تمتمت بارتباك وأنفاسها الدافئة تلامس بشرتي:

– «لا تعرني انتباهًا.»

وبعد قراءة القياس والمضي في تدوينه، نظرت لأعلى بنظرة قلق كوميدية وقالت:

– «حسنًا، يبدو أن أحدهم لا يأكل كعكات العسل الخاصة به.»

رمقتها بنظرة خالية من التعابير وأجبت:

– «حسنًا، يبدو أن أحدهم كان يأكلها – أو يسرقها – جميعها قبل أن أتمكن من الحصول على واحدة.»

اتسعت عيناها بعبوس مؤثر وقالت:

– «آمل حقًا ألا تكون تتّهمني. صدقني، لوددتُ لو ألتهم كل مخزون ‹حي النشّالين› من الكعكات اللزجة.»

نظرت إليّ من أعلى لأسفل، متوصلة إلى استنتاج عميق:

– «الآن أصبح من المنطقي لماذا أنت غاضب ومزعج هكذا.»

قلت بصوت باهت:

– «آه، نعم. افتقاري إلى الكعكات اللزجة في معدتي. لقد اكتشفتِ السر أخيرًا.»

لكن انتباهها عاد إلى الورقة المجعدة في يدها وقالت:

– «حسنًا، أحضر لي خمسة ياردات ونصف من القماش الأبيض، لضمان الأمان فقط. أنت أطول بكثير من عارض الأزياء المعتاد لدي – والذي يكون عادةً بيدن.»

حشرت الورقة في راحة يدي وأكملت:

– «أوه، ولا تشترِ القماش الرخيص الذي ينسل. يجب أن يبدو هذا حقيقيًا، لذا أحضر قماش بوليستر.»

رمشتُ بعيني وكأن ذلك يكفي كسؤال، ثم قلت:

– «ولماذا لن تأتي معي؟»

قالت ببطء ونبرتها توحي بأن الأمر بديهي:

– «لأن لدي أشياء أجهزها. وطقوسًا ما قبل الخياطة، إن صح التعبير.»

شعرتُ فجأة بصداع يضرب رأسي.

– «بالطبع لديكِ.»

سحبتُ قميصي وارتديته بسرعة قبل أن أمشي نحو الباب قائلًا:

– «لا تكسري أي شيء.»

لحقني صراخها إلى الزقاق:

– «بشرط أن تحضر لي إبرة جديدة!»

الفصل 4

أدينا

أنا أتلصص. مزيج خطير من الملل والفضول هو ما دفعني لفعل ذلك.

بعد ترتيب ملاحظاتي وحساب المقاسات، لم يتبق شيء لأفعله سوى التطفل على المجموعة الفوضوية التي تشكل حياة ماك.

تجنبتُ الجانب الأكثر شخصية من المتجر الذي يعيش فيه، رغم أنني درستُ السرير والخزائن من بعيد. ومن الغريب أن مجموعته المذهلة من الأسلحة هي ما أثار فضولي أكثر من غيرها. كنتُ أثير جلبة لا بأس بها، ضاربةً الفولاذ ببعضه البعض وممررةً يدي على كل ما تقع عليه عيناي.

ثم شهقتُ. وتبع تلك الشهقة لسعة مزعجة للغاية. تجمع الدم في باطن يدي.

كان هناك جرح معوج يشوه منتصف يدي، ليسيل القرمزي على بشرتي. والجاني يقبع على أحد الرفوف العديدة التي تئن تحت وطأة أدوات لا حصر لها، ونصله الحاد مدفون بسلام بينها. بالكاد حملتُ خنجرًا من قبل، ناهيك عن أن أُجرح بواحد. في الواقع، أقصى تفاعل لي مع نصل كان عندما أُناول بيدن خنجرها.

كنت أفكر في الاندفاع خارج الباب والفرار من المملكة بأكملها. لم أعرف ماك لفترة طويلة، لكنني أعلم يقينًا أنه لن يكون متعاطفًا على الإطلاق. من المرجح أنه سيسخر و...

انفتح الباب على مصراعيه، وكأنني استدعيته بغبائي.

قال:

– «لا أعرف ما هو البوليستر، لكن من الأفضل أن يكون هذا الهراء هو المطلوب لأنه لم يكن رخيصًا بحق الجحيم.»

استدرتُ لمواجهته، دافعةً يدي الملطخة بالدماء خلف ظهري. متصنعةً الابتسام، لمحت اللفافة البيضاء بين ذراعيه. وبدون سابق إنذار، خطا نحوي بخطوات واسعة، مبتلعًا المسافة بيننا.

أومأ برأسه نحو القماش قائلًا:

– «هيا. تأكدي من أن هذا هو ما أردته.»

ابتلعتُ ريقي، وسحبتُ يدي السليمة من خلف ظهري محاولةً تجاهل اللسعة اللاذعة في يدي الأخرى. في نبضة قلب واحدة، حامت أصابعي فوق القماش. وفي النبضة التالية، كانت يده مطبقة حول معصمي، لتوقف حركتي تمامًا.

سأل بصوت هادئ ومدروس:

– «ماذا فعلتِ؟»

شعرتُ بعينيّ تتسعان شعورًا بالذنب وأنا أرد:

– «همم؟ عما تتحدث؟»

أطلق تنهيدة وقال:

– «دعينا لا نبدأ في الكذب على بعضنا البعض يا عزيزتي. هناك دم على مفصل إصبعكِ.»

طارت عيناي نحو يدي:

– «أوه.»

قال:

– «نعم، أوه.»

ثم مد يده خلف ظهري، ملامسًا وركي بطريقة أرسلت رعشة مباغتة عبر جسدي. وبعد أن اختطف يدي المدانة، اتسعت عيناه قليلًا عند رؤية الدم يقطر منها. ربما كان هذا أصدق انفعال أراه منه حتى الآن.

عند رؤية القلق العابر على وجهه، ابتسمتُ بدفء وقلت:

– «أنا بخير، حقًا. لقد جرحتُ نفسي قليلًا بنصل. لا داعي للقلق.»

قال وعيناه ترتفعان لتلاقيا عيني:

– «لقد فات الأوان على ذلك قليلًا.»

شعر قلبي بالدفء تجاه عاطفته، وتجاه هذا العرض المنتظر من اللطف. كنت أعلم أنه سيلين، ويبدأ في إظهار نوع من اللطف من أجل...

– «ابتعدي، سوف تلطخين القماش بالدم!»

تسطح تعبيري الرقيق إلى استياء مألوف وقلت:

– «وها أنا ذا، أظن أنك كنت قلقًا عليّ.»

سار بخطوات واسعة نحو سريره المجعد حيث ألقى بصرة القماش، معتبرًا أنها مسافة آمنة عني وعن يدي الملطختين.

– «حسنًا، ربما لو اضطررتُ لدفع ثلاث فضيات من أجلكِ أنتِ أيضًا، لكنتُ أكثر قلقًا قليلًا.»

بحق الطاعون، لم أدفع يومًا هذا المبلغ من قبل مقابل قماش. ولكن مرة أخرى، أنا نادرًا ما أدفع ثمن القماش، بالنظر إلى أن بيدن لديها طرقها الخاصة في الحصول عليه من أجلي.

فجأة، انتصب بقامته فوقي مرة أخرى، متفحصًا يدي المدممة بينما أحاول قصارى جهدي ألا أجفل من الألم. رفع حاجبيه بنظرة اتهام:

– «أتتلصصين؟»

اعترفتُ بتذمر:

– «ربما قليلًا.»

رفع يدي، وكانت قبضته لطيفة بشكل صادم وهو يفحصها:

– «كيف بحق الجحيم تمكنتِ من فعل هذا؟»

تنهدتُ مجيبة:

– «إنها موهبة حقًا. الأداة الحادة الوحيدة التي أَئتمن نفسي عليها هي الإبرة. وحتى تلك قد تكون خطيرة.»

– «حسنًا.»

كانت اليد التي وضعها على ظهري خفيفة، تشبه طيف لمسة، وكأنني أتخيلها ببساطة.

– «دعنا ننظف جرحكِ. من دافع الطيبة_في قلبي، قد أضيف.»

نظرتُ إليه من فوق كتفي وقلت:

– «ظننتُ أنك لن تمنحني أيًا من ذلك؟»

– «لقد أجبرتِني على ذلك.»

قادني نحو النصف الحميمي من الغرفة الذي لم أجرؤ على المغامرة بدخوله. النصف الذي يبدو شخصيًا للغاية بحيث لا يحتمل تطفلي.

كان سريره الأشعث يلوح أقرب مع كل خطوة، إلى جانب سلسلة من الخزائن المؤقتة المصطفة على الجدار المقابل. توقفتُ قبل أن أصطدم بالمنضدة، واستدرت لأرمقه بنظرة متسائلة.

حينها غادرت قدماي الأرض. شهقتُ، وربما صرختُ بخفوت، عندما رفعني ليجلسني على السطح بمرونة وسهولة.

قوبلت التحديقة البلهاء التي رمقته بها بنظرة جافة، وهو يقول:

– «أفضل ألا تلطخي منضدتي بالدماء أثناء محاولتكِ الصعود إلى هنا.»

كانت يداه لا تزالان ثابتتين بقوة على خصري بينما كانت أنفاسي لا تزال عالقة_في حلقي. حاولتُ أن أرمش لأطرد نظرة الذهول عن وجهي وقلت:

– «صحيح. نعم، بالطبع.»

تمكن من جمع معظم شعره في شريط، رغم أن عدة خصلات سقطت حول وجهه، وانزلق بعضها أسفل عنقه.

تورد وجهي عند رؤية ذلك، وكأن رؤية صدره العاري في وقت سابق كانت أقل تشتيتاً من رؤية شعره الفوضوي.

أمسك يدي المصابة بإحدى يديه، واستخدم الأخرى ليرفع زمزمية ماء عن المنضدة بجواري. وبعد أن فك الغطاء بأسنانه، سكب السائل على راحة يدي. التقى الماء البارد بجرحي النازف، ليلسعني وهو يتسرب إلى القطع الغارق الآن في دوامات قرمزية.

عضضتُ شفتي في محاولة لدرء الدموع التي ترقرقت في عيني. لم أكن يومًا جيدة في تحمل الألم. ولم أحتج لذلك يومًا. لكنني أرفض أن أخجل من رقتي. فاللين هو القوة التي تفتقر إليها الهشاشة.

بدأ بهدوء قائلًا:

– «أنا آسف لأن شيئًا يخصني قد تسبب في جرحكِ بالفعل.»

هززتُ كتفي قليلًا:

– «وأنا آسفة بشأن سكينك.»

ارتفعت عيناه لتلاقيا عيني:

– «ولماذا هذا؟»

– «لأنني لوثته بالدماء.»

صادف أن نظرتُ لأعلى في الوقت المناسب، لأشهد الحادث الجميل الذي وقع. لقد جعلته يبتسم.

في البداية، بدا وكأنه يحاول محاربة الأمر، كعادة انقطعت منذ زمن بعيد. ثم ظهرت أسنانه البيضاء وعيناه المتغضنتان؛ خطوط الابتسامة وضحكات مكتومة عميقة.

حولت الابتسامة وجهه، ورسمت ملامحه بالدفء. ذاب تعبيره الجليدي، كاشفًا عن تفاصيل ناعمة وابتسامة مذهلة. امتدت الندبة الرقيقة التي تزين شفتيه لتصبح شيئًا أكثر نعومة وأقل إثارة للرهبة. كان هذا وجه صبي لم تقسّيه الحياة بعد.

قلتُ وأنا أرتدي ابتسامتي الخاصة:

– «إذًا، هو يبتسم حقًا!»

ثم ندمتُ فورًا على فتح فمي. وكأن الكلمات قد خنقت الشرارة التي أضاءت وجهه. تسلل التعبير الجامد فجأة مرة أخرى وهو يقول:

– «لا تعتادي على ذلك.»

تمتمتُ ممازحة:

– «نعم، لا سمح الطاعون أن يظن أحد أنك سعيد حقًا بين الحين والآخر.»

ثم قررت فجأة أمرًا فتابعت:

– «أنا عازمة على جعلك تبتسم مرة أخرى.»

راقبته وهو يربت بخفة على الجرح، ملطخًا المنشفة التي يستخدمها مع كل مسحة. كانت ركبتي تهتز بقلق فوق المنضدة، في انتظار رده بينما أُحدث خشخشة بالزمزمية الفارغة الآن بجواري. ألقى نظرة سريعة إلى أسفل على الجلبة التي أحدثها، ثم أعاد نظره إلى يديه اللتين لا تزالان تعتنيان بيدي. ونظرًا لأن كل أطرافه الأخرى كانت مشغولة، فقد انحنى ببساطة نحوي، ضاغطًا بجسده ضد ساقي المرتجفة.

كان ثقل وركه يحرق كل طبقة من ملابسي، وكل فكرة عقلانية، وكل ليف في كياني المحموم. سكنت ركبتي تحت الضغط الذي مارسه، وفعل قلبي الشيء ذاته لفرط قربه مني.

تمكن من الانحناء أكثر، مغمغمًا:

– «سيتعين عليكِ كسبها يا عزيزتي.»

لستُ متأكدة مما أصابني، لكن فجأة أصبح من الصعب ابتلاع تلك الغصة التي تكبر في حلقي عند سماع صوته العميق، فسألت:

– «ولماذا ذلك؟»

– «لأنني بالكاد أستحقها بنفسي.»

كان من الواضح أنه لا يرغب في التوسع في غموضه. تبادلنا النظرات لفترة طويلة قبل أن يبدأ في البحث داخل خزانة، ساحبًا لفة مهلهلة من القماش الطبي من أعماقها. وبعد أن مزقها بتلك الأسنان التي من المحتمل ألا أحظى بلمحة منها مجددًا، بدأ بلفها بإحكام حول عرض راحة يدي.

قال بفتور وهو يتراجع خطوة للوراء ليتأمل عمله:

– «ها قد انتهينا. لا فرصة لأن تلطخي قماشي بالدماء الآن.»

اقترحتُ مع إمالة من رأسي:

– «قد يبدو الأمر أكثر واقعية بتلك الطريقة. هل رأيت مدى تلطخ معظم أزياء الإمبراطوريين؟»

زفر بضيق قائلًا:

– «سحقًا يا أدينا. كان الأحرى بكِ ذكر ذلك قبل أن أعتني بجرحكِ ببطولة.»

الفصل 5

ماكرتم

يتأرجح رأسها قريبًا بشكل خطير من الإبرة الحادة التي تنزلق من بين أصابعها. تجفل، وتبتلع شهقتها وهي ترمش مستيقظة. تلتقي عيناها المتعبتان بعينيّ من مكاني حيث أتكئ على طاولة عملي، أرسم تصميمًا جديدًا لسكين.

عدتُ إلى عملي، غير مندهش من أي شيء تفعله في هذه المرحلة، وقلت:

– «سوف تطعنين نفسكِ مرة أخرى.»

قالت مدافعة عن نفسها، رغم أنها كانت تحارب تثاؤبًا بنشاط:

– «لقد عملتُ طوال الليل من قبل. سأكون بخير.»

تنهدتُ مجيبًا:

– «هذه المرة ستكون عينكِ. ربما حنجرتكِ. ومن المؤكد إصبعان أو أكثر.»

قالت وهي تتنفس اسمي، وتفاجأتُ بالتأثير الذي أحدثه عليّ صدوره من شخص بهذه الرقة:

– «لن أطعن أي شيء يا ماك.»

اعتدلتُ في وقفتي، وخطوت نحوها قائلًا:

– «لا، لن تفعلي.»

تلعثمت عندما انتزعت الإبرة من بين أصابعها، وأكملت:

– «لأنني سآخذ هذه طوال الليل.»

جادلت مشيرة إلى مجموعة القماش المثبتة بالدبابيس:

– «لا، هناك الكثير لفعله. بالكاد بدأتُ الخياطة، ولا تجعلني أبدأ في الحديث عن كم من الوقت سيستغرقه تبطين الـ...»

عقدت ذراعيّ فوق صدري مقاطعًا:

– «أنتِ تعملين منذ يومين كاملين الآن. ولقد سمعتُ ما يكفي من الكلمات لهذا اليوم. لا يسعني أن أتخيل مدى الإرهاق الذي تشعرين به بعد التحدث بها جميعًا.»

كانت نظرتها الباهتة تنافس واحدة من تلك الكثيرة في ترسانتي.

– «هل هذا أنت تطردني لليلة؟»

رسمتُ ابتسامة ساخرة وقلت:

– «لا تدعي الباب يضربكِ في طريقك للخروج.»

نهضت، محدقة بي بصرامة. كانت محببة بشكل هزلي.

– «حسنًا. آمل أن يجعلك بعض النوم أقل تذمرًا بالنسبة لي غدًا.»

– «هل نجح ذلك معي الليلة الماضية؟»

– «من الواضح أنه لم ينجح، لكنني لن أفقد الأمل. ليس بعد.»

قلت بلطف مصطنع:

– «أيًا كان ما يساعدكِ على النوم بشكل أفضل الليلة.»

مرت بجانبي، تمشي بخطوات سريعة نحو الباب. ثم، بدون سابق إنذار، استدارت على عقبيها وقالت:

– «سأكون هنا، في الصباح الباكر.»

غمغمت:

– «أوه، بالتأكيد كنتِ كذلك هذا الصباح.»

عادت لتلتفت نحو الباب. وتنهدتُ عندما التفت رأسها نحوي مجددًا.

قالت وهي تومئ بحدة وكأنها تنهي هذا المطلب:

– «وهل أتوقع أن أُستقبل بابتسامة وكعكة لزجة.»

عقدتُ ذراعي:

– «ظننت أننا انتهينا من المطالب يا عزيزتي؟»

– «أحضر لي كعكة العسل اللزجة، وسنكون قد انتهينا.»

ومع ذلك، حُجبت عن ناظري عندما انغلق الباب الخشبي خلفها بصرير حاد.

حينها فقط أخذتُ أول نفس عميق منذ أن التقيت بها.

إنها نوع مسكر من الإرهاق، كالركض حتى تفقد أنفاسك ولكنك تستمتع بالشعور طوال الوقت. وأشعر وكأنني أركض بأقصى سرعة منذ أيام. وما هو أسوأ من ذلك، أخشى أنني بدأت أستمتع برفقتها بالفعل. يا له من إدراك مرعب، أن يعترف المرء بإعجابه بآخر.

مررت يدي عبر خصلات الشعر المتساقطة حول وجهي، متنهدًا وأنا أشق طريقي نحو السرير الأشعث الذي أرغب بشدة في السقوط عليه بوجهي. وبدلًا من ذلك، جلستُ على حافته، ضائعًا في أفكار لا أود الاسترسال فيها. أفكار عن فتاة التقيت بها للتو، من بين كل الأشياء الممكنة. يا لها من شاعرية مثيرة للشفقة.

نفضتُ عني ذهول التدمير الذاتي الحتمي، ونهضتُ لأبدأ روتيني الليلي. ويتألف هذا أولاً من تقشير الملابس الملطخة بالفحم عن جسدي. وبمجرد الانتهاء من هذه المهمة، أخلع البنطال الجلدي جزئيًا الذي لا يزال يعانق ساقي. وبعد النبش في إحدى الخزائن الملتوية العديدة بملابسي الداخلية فقط، أتمكن من العثور على بنطال رقيق لارتدائه.

يحدث كل هذا في وقت مناسب، كما تفعل الروتينات عادة. لأنني تاليًا، أبلل قطعة قماش لمسح السخام عن بشرتي. وبكل صدق – وهو مفهوم غريب نسبيًا – أميل عادةً إلى الانهيار فوق طاولة عملي في هذه الساعة، مستغرقًا في

نوم عميق. لكن الليلة، ضمن هذا الانقطاع في روتيني أن يكون عقلي مستيقظًا بما يكفي لإنهائه لمرة واحدة.

يلتصق السخام بقطعة القماش المبللة التي أسحبها عبر بشرتي، حيث تكشف كل مسحة عن الندبات القابعة تحتها.

حينها بدأ الطرق العنيف على بابي.

وبحق الطاعون، لم يتوقف حتى فتحته على مصراعيه.

إنها هي من رأيتها تقف أمامي. رغم أنها ربما تكون نسخة لم أعتقد يومًا أنني سأشهدها. كان وجهها مبقعًا، ومخططًا بدموع تتسرب من عينيها العسليتين. كل شبر فيها كان يرتجف، يهتز تحت وطأة الخوف الذي يخنق جسدها الهزيل.

سد الذعر حلقها، تاركًا للأفعال فقط أن تتحدث بالنيابة عنها. سقطت بين ذراعي، لافةً ذراعيها النحيلتين حول خصري العاري قبل أن تضغط وجهها الملطخ بالدموع على بشرتي.

ترددتُ، وشعرت بعدم اليقين يصلب جسدي. ويبدو أن ذلك تلاشى بمجرد الاعتراف به، وكأنه بقي فقط لفترة كافية لأدرك هذه المشاعر المكتشفة حديثًا التي غرستها فيّ. لأن الشك يعني أنني أهتم بما يكفي لأتساءل كيف يجب أن أتصرف.

مع هذا الإدراك المرعب، انطوت ذراعي حولها، جاذبة إياها بقوة إلى صدري. شهقت وبكت وهي تستند إلي، ملطخة بشرتي بمجموعة من السوائل التي أفضل ألا أفكر فيها في الوقت الحالي.

همست غاصة بالكلمات:

– «أـأنا آسفة. لم يكن لدي مكان آخر أذهب إليه.»

رفعتُ وجهها بيدي نحوي، مما سمح لي برؤية ملامحها المضطربة بالكامل وسألتها:

– «ماذا حدث؟ ما الذي يجري؟»

أطلقت شهقة أخرى وقالت:

– «كنتُ في طريقي إلى الـحصن، وكان هناك مجموعة من الرجال في الزقاق.»

بدأ دمي يغلي قبل حتى أن تنهي جملتها.

– «بدأوا في قول... أشياء. ثم صاروا يـطاردونني و...»

امتلأت عيناها بدموع غاضبة وتابعت:

– «بدأت أركض. أنا لم أعرف ماذا أفعل...»

قلت مسكتًا إياها:

– «صه.»

مررتُ يدي على طول خصلات شعرها المجعدة، شاعراً بشهقة تهز جسدها.

– «لقد فعلتِ الشيء الصحيح. اركضي إليّ. اركضي إليّ دائمًا.»

باستثناء أنني لن أكون هنا لفترة أطول. إذا سارت الأمور وفقًا للخطة.

لم أقل أيًا من ذلك بالطبع، في محاولة لإخفاء جبني. رمشت بعينيها نحوي، والدموع تتشبث برموشها الكثيفة:

– «هل أيقظتك؟ أنا آسفة، كان ينبغي علي أن...»

أكملتُ عنها بتنهيدة:

– «توسعيهم ضربًا؟ أجل، لكنكِ لا تعرفين كيف تفعلين ذلك، أليس كذلك؟»

هزت رأسها وهي تشهق مع الحركة:

– «كانت بيدن دائمًا هناك لتوسعهم... ضربًا من أجلي.»

ترددت عند التلفظ بالشتيمة، وكأنها تفكر فيما إذا كان هذا الموقف يستدعي ذلك. كادت معضلتها الداخلية أن تجعلني أبتسم.

قلت ببطء:

– «نعم، حسنًا، إنها لم تعد هنا بعد الآن. لذا، ربما حان الوقت لتتعلمي ذلك بنفسك.»

خطت خارج قبضتي، وعلى وجهها نظرة عدم يقين:

– «كما ترى، أنا في الحقيقة عاشقة ومُحبة للسلام أكثر من كوني مقاتلة.»

أجبت:

– «نعم، لقد استنتجتُ ذلك.»

كانت كلماتي أرق بكثير مما توقعت، وكأنها تمكنت بطريقة ما من استدراج التعاطف من داخلي. التفتت بعيدًا، مخفيةً وجهها في الظل الذي ألقيه عليها.

– «انظري إلي.»

مرة أخرى، كانت كل كلمة رقيقة بما يكفي لتريحها، ولكنها صارمة بما يكفي لتسرق انتباهها. مال رأسها نحوي مرة أخرى.

– «هل أنتِ بخير؟»

أومأت بقوة:

– «أنا كذلك الآن.»

قلت:

– «جيد.»

خطوتُ جانبًا لأفسح لها المجال في الغرفة وتابعت:

– «لأنه يبدو أنكِ ستنامين هنا حتى إشعار آخر.»

– «أوه، لا، لا يمكنني...»

– «يمكنكِ. وسوف تنامين هنا.»

– «لا، حقًا، هذا...»

أنهيتُ الجملة عنها:

– «كرم بالغ، أنا أدرك ذلك.»

مسحت دمعة شاردة من على خدها، واعتدلت بتصميم قائلة:

– «حسنًا. فقط إذا وعدتني أن تنام أنت في الحصن.»

أومأت بحدة:

– «بالتأكيد.»

أصرت دافعة يدها السليمة نحوي:

– «صافحني على ذلك.»

– «هل تعتقدين حقًا أن هذا ما سيجعلني أفي بوعدي؟»

هزت أصابعها متجاهلة كلماتي، وصافحتُ يدها الناعمة لمجرد أن نتمكن من تجاوز هذه المحادثة.

قالت:

– «حسنًا. لقد اتفقنا إذن.»

أطلقت شهقة أخرى قبل أن تمسح وجهها تمامًا من أي دموع متساقطة. ثم حطت نظرتها متوقعة عليّ.

قلت بحماس أقل:

– «صحيح. خذي السرير.»

نظرت بخجل إلى الملاءات المجعدة:

– «أوه، أنا معتادة على النوم على الأرض على أي حال، لذا سأكتفي بـ...»

– «بقبول كرمي المستمر؟»

فتحت فمها لترد، لكن صوتي هو ما ملأ الغرفة:

– «عظيم. خذي السرير.»

ضربت بيدها فجأة بقوة على وركيها وقالت:

– «هل يمكنني الحصول على كلمة (من فضلك) مع هذا المطلب؟»

نقرّت بإصبعي على أنفها وقلت:

– «آو، انظروا من يدافع عن نفسه أخيرًا. ولكن لا.»

نفخت الغرة لتبعدها عن عينيها، ومشت بتردد نحو السرير. وبعد لحظة طويلة من التأمل، جلست بتصلب على حافته.

وقفتُ فوقها وبدأتُ في سحب إحدى البطانيات المجعدة التي كانت تجلس عليها. كادت أن تنقلب، وهي تتلعثم باعتراض. وردًا على اعتراضها، فردتُ القماش الناعم على الأرض بجوار السرير وقلت:

– «بالتأكيد يمكنكِ التضحية ببطانية واحدة من أجلي.»

تمتمت بابتسامة متكلفة:

– «بالتأكيد كان بإمكانك أن تطلب مني الوقوف.»

– «بالتأكيد تعلمين أنه لا متعة في ذلك.»

وخزت نظراتها بشرتي وأنا أكوّم الملابس لأصنع وسادة مؤقتة. كافحتُ لتجاهل شعورها، والنظرة على وجهها. حتى في خضم بكائها، تمكنت من التوهج، وكأن كل دمعة كانت قطرة من ضوء الشمس.

ارتفع رأسي عند سماع صوتها:

– «لقد فاتك مكان.»

رفعتُ حاجبيّ متسائلاً. فأوضحت:

– «غبار الفحم. لا يزال هناك بعض منه على مرفقك.»

عبستُ وقلت:

– «ابقِ بعيدة إذن. أفضل ألا يُعطس عليّ مجددًا.»

ابتسمت، وانتزعت قطعة القماش المبللة من على المنضدة المقابلة للسرير قائلة:

– «أوه، لا تكن سخيفًا.»

أمسكت بذراعي محاولة جذبي نحوها. وعلى مضض، سمحتُ لها بذلك.

ترددت قليلًا قبل أن تمرر القماش عبر ذراعي. كان القماش خشنًا على بشرتي، لكن لمستها لم تكن مفاجئة في رقتها.

قلتُ ردًا على كل لمسة من لمساتها الحنونة:

– «أنا أبعد ما أكون عن الهشاشة.»

قالت بنعومة:

– «أنا أعلم. هناك فرق كبير بين الهشاشة والرقة.»

لم تكن هذه الكلمات تشبه أبدًا المئات من الكلمات الحيوية السابقة. كانت كلمات مدروسة، وثاقبة بطريقة لا يمتلكها سواها.

سألتها:

– «إذن، هل تعتقدين أنني رقيق؟»

أمالت رأسها متسائلة:

– «ألا ترغب في أن تُعامَل بعناية؟»

جعلني ذلك عاجزًا عن النطق.

لم أتنحنح مطلقًا أول صوت لي منذ لحظات عديدة إلا عندما وضعت قطعة القماش الملطخة جانبًا. راقبتها وهي تغوص مرة أخرى في الفراش، وتتدثر بالبطانيات من تحتها.

حينها بدأتُ أخطو نحو الباب، داسًا خناجري في حزام بنطالي.

استطعت سماع القلق في صوتها:

– «إلى أين أنت ذاهب؟»

انفتح الباب.

– «لأعثر عليهم.»

الفصل 6

أدينا

استيقظت على رائحة الكعكات اللزجة.

تمامًا كما فعلتُ كل صباح بعد أن ذهب ماك للبحث عن الرجال الذين طاردوني حتى أرتميت في أحضانه. ورغم ذلك، لستُ متأكدة تمامًا مما أسفرت عنه رحلة صيده – وبدأت أخشى أنني قد لا أرغب في معرفة ذلك.

لا تزال تلك الليلة تطاردني، وكذلك النظرة التي ارتسمت على وجه ماك عندما ذهب للبحث عن تلك المجموعة الدنيئة. الأشياء التي كانوا يقولونها، وصوت وقع أقدامهم خلفي – آمل ألا أشعر بمثل هذا الخوف مرة أخرى أبدًا.

تفتحت عيناي في الوقت المناسب لأراه يضع طبقًا على معدتي، يحمل عجينًا مغمورًا بالعسل يلمع في الضوء الباهت. اعتدلتُ جالسة، وتمططتُ مع تثاؤبي المبتسم المعتاد وقلت:

– «اليوم الثالث من الإفطار في السرير؟ لقد أصبحتُ مدللة جدًا.»

قال ذلك بجفاف، كما يفعل مع معظم الأشياء:

– «نعم، جدًا. يوم آخر، ومطلب آخر.»

أومأت نحو كعكة العسل اللزجة التي تنتظره على طاولة العمل وقلت:

– «على الأقل هذا المطلب يفيد كلينا.»

تذمر قائلًا:

– «حسنًا، إنه بالتأكيد لا يفيدني ماليًا بحق الجحيم. لقد أصبحتِ مكلفة.»

تحررتُ من شرنقة البطانيات، ووقفت على قدمي متأوهة. غمرتني السترة الزرقاء المتدلية من على كتفي بالدفء، وبشكل أكثر تشتيتًا للانتباه، غمرتني برائحته. كانت تفوح منه رائحة أقرب إلى النار – ليست دخانية بالضرورة، لكنها جريئة وعالقة بالمثل. كأنها سلاح متجسد، جلدي ومميت.

لقد رمى بالسترة على رأسي قبل ليلتين بعد أن شبّه اصطكاك أسناني بالطرق المستمر على الفولاذ – أو بشيء درامي مماثل.

ومع ذلك، دفنتُ ذقني في الخيوط البالية، واجدةً الراحة في الياقة المهترئة. أو ربما هو شيء رمزي أكثر بكثير ما يهدئني. ربما هو شخصه. كم هو غريب، بالنظر إلى أنه قد يكون أقل شخص يبعث على الراحة التقيته في حياتي. لكن الأيام القليلة الماضية بدت هادئة بشكل خاص وهو بجانبي.

أنا أتحدث. وهو يستمع. لقد تمكن بطريقة ما من إبقاء قلقي بشأن بيدن بعيدًا.

حسنًا، لا يمكنني التأكد تمامًا مما إذا كان يستمع أم لا. الفهم الخاطئ الشائع عني هو أنه من السهل دائمًا التحدث معي. لكن في الحقيقة، الأمر يعتمد على من يستمع. ورغم أنني لا يمكنني التأكد أبدًا من أنه يفعل ذلك، إلا أنني ما زلت أجد من السهل للغاية أن أبوح بأفكاري له.

استرقتُ النظر من فوق كتفه، محدقة في قصاصات المعدن المتناثرة على الطاولة وسألته:

– «على ماذا تعمل؟»

رمقني بواحدة من تلك النظرات، من النوع الذي يضم كل مشاعر الجفاف في كيانه، وقال:

– «لا شيء يتعلق بما يُفترض أنكِ تعملين عليه.»

قلت متوسلة:

– «أوه، هيا!»

أخذتُ قضمة أخرى من الكعكة اللزجة قبل أن أدور حوله وأكملت:

– «الزي الخاص بك يتقدم بشكل جيد.»

فتح فمه، ممددًا الندبة التي تزين شفتيه. فأسرعت مضيفة:

– «وسيكون جاهزًا في الوقت المناسب لندفع بزيارتنا إلى القلعة.»

مرر يده عبر شعره، كاشفًا عن تلك الخصلة الفضية ومذكرًا إياي مرة أخرى بغياب بيدن، وقال:

– «إذن، سيكون جاهزًا في غضون ثلاثة أيام؟»

أكدتُ بحماس:

– «نعم، نعم. لديك إيمان ضئيل جدًا بي يا ماك.»

رد قائلًا:

– «وعن حق. هل أحتاج إلى تذكيرك بالدموع التي ذُرفت بسبب زر الليلة الماضية؟»

قلت ببساطة:

– «الأزرار هي لعنة وجودي. كانت تلك هي الاستجابة الوحيدة المناسبة.»

– «بالطبع.»

بالكاد أزعجتني سخريته وأنا أومئ نحو عمله متسائلة. تنهد وقال على مضض:

– «أنا أختبر بعض تصميمات السكاكين. هذه،»

رفع نصلًا رفيعًا من على الطاولة وأكمل:

– «تفتح لتصبح سكينين.»

أوضح ذلك، مدخلًا إصبعه في الحلقة المعدنية في الأعلى قبل أن يديرها في راحة يده. وبالتأكيد، سُمعت نقرة خفيفة قبل أن يظهر نصل آخر في الطرف المقابل.

سألت مشيرة إلى واحدة من السكاكين العديدة الملقاة بسلام على الخشب:

– «وهذه؟»

دفع يدي بعيدًا، ورمقني بنظرة قائلًا:

– «لم يعد مسموحًا لأطرافكِ بالاقتراب من أسلحتي.»

حاولت إخفاء ابتسامتي وأومأت نحو السكين بدلًا من ذلك، حاثة إياه على الاستمرار.

– «هذه الأربعة في الواقع تندمج لتشكل واحدة.»

ومع ذلك، بدأ في تجميع النصال، شابكًا مقابضها معًا لإنشاء ما يشبه نجمة مميتة.

توقف قلبي عندما رمى الأداة نحو الجدار البعيد، مما انتزع شهقة من شفتي. تمكن الفولاذ من الانزلاق بين الطوب المتداعي، غائصًا بعمق في الجدار.

رمشت برهبة بينما عاد قلبي ينبض بالحياة وقلت:

– «كان ذلك... مذهلًا.»

سمح لنفسه بضحكة جافة مكتومة:

– «لم أكن أعتقد أنكِ تستمتعين بهذه الأنواع من الأشياء.»

عقدتُ ذراعي:

– «مجرد كوني عاشقة للسلام، لا يعني أنني لا أستطيع الإعجاب بالمقاتلين.»

سار نحو الجدار، وساحبًا السكين بزمجرة خفيفة قال:

– «هذا صحيح. لم أصنع منكِ مقاتلة بعد.»

أصدرتُ شخيرًا خفيفًا:

– «صدقني، لقد حاولت بيدن. كانت تتوسل إلي لأحمل سكينًا لكن...»

تلاشى صوتي عند الانعدام المفاجئ للمسافة بيننا. قادته خطواته الطويلة مباشرة إلي، وجسده قريب جدًا لدرجة أنني أستطيع شم رائحة الجلد المتشبثة بملابسه.

فتحتُ فمي لأنطق بشيء يهدئ أعصابي – كما أفعل عادة – لكن صوته هو ما سمعته.

قال ببطء وبنبرة خفيضة:

– «الآن، ماذا ستفعلين لو وضعتُ هذا النصل على معدتكِ؟»

ضحكت بخفة:

– «حسنًا، أنت لن تفعل ذلك أبدًا، لذا لم أفكر بالضبط في...»

مرر النصل بخفة على ضلوعي.

انحنى هامسًا بطريقة جعلت وجهي يحترق:

– «أنتِ تظنين بي خيرًا أكثر من اللازم يا عزيزتي.»

ابتلعت ريقي وقلت:

– «هذا سخيف. لن أجد نفسي أبدًا في هذا الموقف...»

قال مقاطعًا:

– «طالما أنك تعيشين في العشوائيات،»

توقف، وانزلقت نظراته ببطء عليّ، وتابع:

– «فمن المؤكد أنكِ ستجدين نفسكِ في هذا الموقف. والآن، أخبريني ماذا ستفعلين.»

نقرّت بإصبعي على شفتي وقلت:

– «حسنًا، سأحاول أولًا التفاهم معهم بالعقل. بأدب بالطبع.»

– «بحق الطاعون.»

ضغط على جسر أنفه بين أصابعه الخشنة، وهز رأسه قائلًا:

– «قد تكونين ميئوسًا منكِ حقًا.»

أسقط السكين، مما سمح لي أخيرًا بأخذ نفس كامل. وعندما رفع كفيه أمامي، رفعت حاجبي متسائلة.

– «هيا، أريني لكمة.»

– «تريدني أن ألكم يديك؟ يبدو هذا مؤلمًا بعض الشيء.»

تنهد:

– «ستكونين بخير.»

– «كنت أقصد بالنسبة لك.»

كاد ذلك أن يكسبني ابتسامة منه وهو يقول:

– «أعتقد أنه يمكنني تحمل ذلك.»

اعتدلت، قابضة يديّ في قبضتين محكمتين. التقت مفاصل أصابعي براحة يده، وابتسمت له بإشراق:

– «ها قد فعلت. كيف كان ذلك؟»

قال ببساطة:

– «مريعًا كما توقعت.»

عندما وجدت يداه خصري، جفلت من ملمسهما الحازم.

قال وهو يلف خصري بجهد قليل:

– «هكذا. هكذا يجب أن يكون الشعور عندما تسددين لكمة.»

كدت أضحك. في هذه اللحظة، كل ما أشعر به هو قبضة يديه على خصري. أبدو وكأنني مخدرة تجاه كل شيء سوى الإحساس به.

لم أدرك أنه كان يتحدث حتى انزلقت إحدى راحتيه إلى أسفل ظهري.

– «... التفي مع ذراعكِ لإلقاء كل وزنكِ خلفها. افردي ظهركِ وشدي عضلات بطنكِ. جسدكِ بالكامل يسدد اللكمة، وليس ذراعكِ فقط.»

ثم خطا خلفي، ممررًا أصابعه حول خصري أثناء ذلك. بالكاد استطعت كبح ارتعاشي، أمام هذا الشعور الغريب. داسًا رأسه بالقرب من رأسي، تنفس قائلًا:

– «حاولي مرة أخرى. سأوجهكِ.»

ابتلعتُ ريقي، مبتلعة كبريائي في الغالب ولكن أيضًا موجة توتري المفاجئة. عندما اندفعت ذراعي للأمام، دار بخصري، متحركًا بالتزامن مع الأرجحة. انضغطت حرارة جسده ضد ظهري، وفجأة أصبحت أتنفس بصعوبة بالغة بالنسبة للكمة واحدة.

غمغم:

– «كيف كان الشعور بذلك؟»

تساءلتُ بخفوت عما إذا كان يمكنه اكتشاف نبضات قلبي عبر الظهر الذي ضغط نفسه عليه. لست معتادة على أن يتم لمسي – ليس هكذا على الأقل. يبدو هذا كنوع الحميمية التي لطالما حلمتُ بها فقط؛ النوع الذي تغفو وأنت تتخيله.

لكنه هنا، أنفاسه تلفح عنقي ويداه الخشنتان تحيطان بخصري. لم يسعني إلا أن أحفظ اللحظة في ذاكرتي، وأدرس المشاعر التي يثيرها بداخلي. مشاعر تجاه شخص مزعج ومستفز إلى حد بعيد. شخص يعاكس كياني تمامًا.

تنحنحت.

إنه لأمر سخيف تمامًا، حقًا. لم أعرف هذا الرجل سوى لأيام معدودة وأنا بالفعل متأثرة بشكل عبثي بكل حركة يقوم بها. إنها حقًا لعنة أن أشعر بهذا العمق، وأن أجرؤ على اعتبار شخص ما جديرًا بعاطفتي.

لطالما قالت أمي إنني مندفعة للغاية بما لا يصب في مصلحتي. إن نفاد صبري يضمن أنني لن أقع في حب شخص ما تدريجيًا. بل بدلًا من ذلك، أفقد توازني، وأتعثر حتى أسقط بوجهي في فشل حتمي.

– «مرة أخرى يا دينا.»

أعتقد أنني نسيت كيف أتنفس.

دينا.

تعثرت اللامبالاة المعتادة التي يرتديها عندما أدرتُ رأسي بسرعة لمواجهته. أستطيع رؤية الإدراك في الطريقة التي اتسعت بها عيناه البنيتان بالتزامن مع عيني، وفي شعور جسده وهو يتوتر ضد جسدي.

لم يهتم أحد سوى بيدن بمناداتي بأي اسم آخر غير اسمي الحقيقي. حتى الآن، على الأقل.

بدا الاسم في حد ذاته وكأنه مداعبة، تهدئ من دقات قلبي المتسارعة وكأنه مرر أصابع مجازية عليه. غمر الدفء جسدي عند سماع الصوت، وعند مجرد المعنى الضمني للكلمة. لأنها شُكلت من رحم الألفة.

تزدهر الأسماء المستعارة بين المعرفة وشيء أكثر من ذلك. ورغم ذلك، لست متأكدة من موقعنا على هذا الطيف. أو ربما أكون سخيفة تمامًا وأبالغ في التفكير في كل شيء...

تم تدويري فجأة بيدين ثابتتين وجدتا طريقهما إلى خصري. اصطدم أسفل ظهري بالطاولة الخشبية، مما حاصرني ضد كثافة حضوره المشتتة.

رمقني بتلك النظرة. تلك التي يميل فيها برأسه لأسفل مع التواء باهت في شفتيه.

– «آمل أن تقنية القتال الخاصة بكِ هي ما كنتِ تحلمين به.»

رفعت رأسي، غير قادرة على ما يبدو على منع عيني من تتبع الندبة التي تشق شفتيه.

ابتسمتُ، وكل كلمة تخرج مع أنفاسي:

– «ما الذي يمكن أن يدور في ذهني غير ذلك؟»

– «أخبريني أنتِ.»

انحنى مسندًا يديه على الطاولة من كلا الجانبين مني. شعرت بذراعيه تلامسان جانبيّ ولعنتُ نفسي على افتقاري لضبط النفس.

– «أنتِ تبدين متململة أكثر بكثير من المعتاد. لا أستطيع القول إنني أستمتع بذلك.»

تنحنحت قبل أن ألصق ابتسامة على وجهي، متظاهرة وكأنني لا أفكر فيه فجأة كشيء أكثر من مجرد شريك متعنت.

– «أعتقد أنني لا أستطيع احتواء حماسي لهذا التدريب الممتع للغاية الذي تجبرني على القيام به!»

رمش بعينيه، وهز رأسه غير مصدق:

– «حسنًا، ذكريني أن أعلمكِ كيف تكذبين تاليًا.»

أومأت برأسي قبل أن تجد يداه خصري مرة أخرى، لترسل صدمة كهربائية وصلت إلى أصابع قدمي.

– «والآن، استمري في التسديد حتى أقتنع أنه بإمكانكِ ضربي.»

أسدد لكمة. تقبض أصابعه على خصري.

أسدد لكمة. تنبسط يده على ظهري.

أسدد لكمة. تكاد شفتاه تشكلان ابتسامة.

وهكذا بدأت رحلتي المحتومة للسقوط في ماك.

الفصل 7

ماكوتو

قلت:

– «توقفي عن الضحك. هذا ليس مضحكًا.»

ضحكت بخفوت مرة أخرى بطريقة تجعل من الصعب البقاء غاضبًا – حتى بالنسبة لي. ولكن عندما وجد سن الإبرة طرف إصبعي مرة أخرى، ألقيت القماش جانبًا بتذمر.

قالت:

– «أوه، أرجوك، لا تستسلم.»

كادت نظرة خيبة الأمل على وجهها أن تجعلني أعيد التفكير.

تابعت:

– «انظر إلى أي مدى وصلت!»

قلت وأنا أرفع قطعة القماش كدليل:

– «ماذا، تقصدين الغرز الاثنتي عشرة المعوجة؟ نعم، من الواضح أنني معجزة.»

ضمت شفتيها، تحارب ابتسامة مستفزة. لقد أصبحت أقل استفزازًا بشكل متزايد على مدار اليومين الماضيين. لكنني أفضل ألا أفكر في ذلك حاليًا.

صرحت وهي تخيط درز بنطال بسهولة:

– «انظر، من العدل فقط أن تجرب ما أفعله بعد أن جعلتني أخضع لتدريبك بالأمس. لساعات.»

تنهدتُ مجيبًا:

– «لا تكوني درامية. علاوة على ذلك، فإن ما أدربك عليه سيساعدكِ على الأقل في الدفاع عن نفسك.»

وجهت أدينا إبرتها نحوي وقالت:

– «أنت لم ترني ألوح بهذا الشيء بعد.»

مررت عيني على قصاصات القماش المتناثرة بجوار الزي الذي لا تزال تقوم بتجميعه وسألت:

– «أليس هذا ما تفعلينه الآن؟»

تأملت ذلك للحظة وقالت:

– «أفترض أنني أفعل ذلك.»

– «سأكون منبهرًا حقًا عندما تجعلينني أبدو كأحد الإمبراطوريين في غضون يومين.»

تذمرت:

– «أعلم، أعلم. يومان فقط يفصلاننا عن مهمتنا الصغيرة الممتعة إلى القلعة.»

هززت رأسي قائلًا:

– «لا تطلقي عليها هذا الاسم.»

كادت أن تصرخ متجاهلة إياي:

– «أنا متحمسة جدًا لرؤية بيدن. كل ما تبقى فعله هو تبطين البدلة لمحاكاة الحشوة التي يمتلكها الإمبراطوريون. أوه، وقص الجلد لقناعك.»

أخذت نفسًا عميقًا براحة وقلت:

– «عظيم. وأنتِ تتذكرين الخطة، صحيح؟»

ورغم إيماءاتها المتواصلة، رأيت أنه من الأفضل تذكيرها.

تابعت:

– «سنغادر في وقت مبكر من المساء، مما يمنحنا أكثر من ساعة للوصول إلى حلبة ‹الصحن›. هناك، سوف...»

قاطعتني بابتسامة متكلفة:

– «نتسلل عبر المسار المؤدي إلى الجناح الشرقي للقصر قبل اختراق الجدران وتجاوز الحراس. أترى، أخبرتك أنني أتذكر.»

رددت بفتور:

– «مبهر للغاية. الآن، سنبقى معًا ونخترق الغرف عند الضرورة...»

– «انتظر، ماذا سأرتدي في مهمتنا الصغيرة؟»

ضغطت على جسر أنفي، شاعراً بصداع يبدأ في الخفقان:

– «أرجوكِ. لا تطلقي عليها اسم...»

نقرت بإصبعها على شفتيها في تفكير وقالت:

– «يمكنني أن أتنكر كخادمة! رغم أنني لست متأكدة تمامًا مما يرتدينه...»

قلت بنبرة مقتضبة:

– «فقط اربطي مئزرًا حول خصركِ. سيكون الجو مظلمًا على أي حال. من غير المرجح أن يراكِ أحد.»

– «مثالي.»

ثم أومأت إلى قطعة القماش البائسة التي أجبرتني على العمل عليها وأضافت:

– «الآن، استمر. لديك المزيد من الغرز لتخيطها.»

– «لا بد أنكِ تمزحين.»

ضحكت بخفة وقالت:

– «كان يجب أن ترى غرزي عندما حاولت أمي تعليمي لأول مرة. كانت كارثة.»

لانت نبرتها قبل أن تتلاشى عند ذكر حياة لا أعرف عنها شيئًا.

قلت بهدوء:

– «أنتِ لا تتحدثين عنها. في الواقع، أنتِ لا تتحدثين عن أي شخص غير بيدن.»

هزت كتفيها وكأن الماضي الذي أوصلها إلى هذا الحاضر لا يهم كثيرًا:

– «ليس هناك الكثير ليقال. علاوة على ذلك –»

رفعت عينيها العسليتين الواسعتين نحوي وأكملت:

– «أنت لا تتحدث أبدًا عن هيرا.»

أردفت قائلاً:

– «ليس هناك الكثير ليقال.»

كانت نبرتها مفعمة باللامبالاة، لكن نظرتها الثاقبة كانت أبعد ما يكون عن ذلك:

– «هذا غريب. لقد ظننتُ أنها مهمة بما يكفي لتجعلك تتكبد كل هذا العناء لرؤيتها لمرة أخيرة.»

صحيح. من المفترض أن أراها لمرة أخيرة. لا أن أحاول ارتكاب أي خيانة.

أصدرت صوتًا ينم عن الغيظ:

– «فضولكِ مرهق يا حلوتي.»

قالت بحماس وهي تعبس:

– «بالحديث عن ذلك، أخشى أنني لا أعرف الكثير عنك. باستثناء مقاساتك – والتي حفظتها الآن بالمناسبة.»

– «آمل أن تعلمي أنني أجد هذا مثيرًا للقلق قليلًا...»

قاطعتني، وبدت منزعجة قليلًا من تكتمي على المعلومات:

– «حسنًا، إذا كنت لن تخبرني عن هيرا، فأخبرني بشيء آخر.»

– «لقد فعلت للتو.»

توقفت لوهلة، ثم أضفت:

– «فضولكِ يرهقني.»

قلبت عينيها العسليتين، وواصلت بشجاعة:

– «ماذا عن عائلتك؟»

كدت أن أضحك:

– «أوه، هم المجموعة الأكثر ودًا على الإطلاق. ستحبينهم.»

يبدو أنها لم تستشعر السخرية المضافة التي دسستها في مقاطع كل كلمة.

قالت:

– «أوه، كم هذا رائع! أود أن ألتقي بهم يومًا ما.»

تورد وجهها فجأة قبل أن تضيف:

– «أقصد، إذا كنا لا نزال نرى بعضنا البعض بعد كل هذا.»

وها هي ذي، تلك الوخزة من الشعور بالذنب. الشعور بالذنب حيال فكرة تركها، وحيال إعطائها أملًا في شيء سيفشل حتمًا. لكنني أشعر به على أي حال، رفضًا لانزلاقي البطيء في حب أدينا. لأن الاهتمام بهيرا كان نقطة الضعف الوحيدة التي سمحتُ بها، وهذه الفتاة تمثل نقطة ضعف أخطر بكثير.

تتبعني المأساة أينما ذهبت، ولست جديرًا بأن أكون نهايتها. تستحق أدينا نهاية خيالية، حياة تليق بنورها. وهذا يعني أنه يجب علي البقاء بعيدًا عن ذلك قدر الإمكان.

يجب علي ذلك.

– «لا أعتقد أنه ينبغي لنا أن نرى بعضنا البعض بعد كل هذا.»

ارتفعت عيناها عن مسار الغرز التي كانت تضعها على طول ساق البنطال:

– «لـ-لماذا؟»

هززت كتفي بلامبالاة اصطنعتها:

– «لأن جفائي قد ينتقل إليكِ.»

رفعت ذقنها، مرتدية تلك الابتسامة المشرقة:

– «أعتقد أنك قلق فقط من أن أجعلك ألطف.»

عبست مجيبًا:

– «سيكون ذلك مؤسفًا. لدي سمعة يجب أن أحافظ عليها.»

عادت عيناها إلى الزي الممدد في حجرها:

– «كيف تعلمت القتال؟»

ضاق حلقي، مما أجبرني على ابتلاع ريقي قبل أن أقول:

– «علمتُ نفسي.»

دفعها إصرارها للضغط من أجل المزيد من التوضيح:

– «لماذا؟ لأنك أردت أن تتعلم كيف تستخدم الأسلحة التي كنت تصنعها؟»

لأنني كنت خائفًا.

قلت بصوت باهت:

– «كان والدي حدادًا. تعلمتُ كل ما أعرفه من مراقبته. ومعظم فنون القتال أيضًا.»

وقبل أن تتمكن من استجوابي أكثر، أمرتها:

– «حسنًا، أريني أنكِ تتذكرين كل جهدي الشاق الذي بذلته بالأمس.»

تأوهت وهي تنهض:

– «جهدك الشاق؟ أنا من كان يلكم الهواء لعشرات المرات.»

– «نعم، وقد سبب لي ذلك قدرًا كبيرًا من الألم وأنا أشاهده.»

وضعت يدي على ظهرها، شاعراً بتمايل وركيها مع كل خطوة. وفي محاولة لتجاهل هذا التشتيت، قدتها نحو جدار مبطن، كان في السابق مخفيًا خلف رف مكدس بالأسلحة.

أشرت نحو الحصيرة المغبرة التي ثبتّها منذ سنوات:

– «لا مزيد من لكم الهواء.»

قالت بحماس أقل:

– «أوه، مثالي. الآن بات بإمكاني أن ألكم شيئًا سيؤلمني حقًا.»

– «لقد لكمت هذا مرات عديدة يا حلوتي. لن يرد لكِ الضربة، أؤكد لكِ.»

اتخذتُ موقعي المعتاد خلفها، ولوحت بقبضتها نحو الوسادة بضعف شديد مقارنة بما علمتها إياه.

قلت:

– «هيا يا دينا. لن تؤذيه.»

وها أنا أفعلها مجددًا. أنسبها إليّ.

انزلق الاسم من بين شفتي للمرة الثانية، ومرة أخرى، أندم على ذلك. أندم على الألفة التي تتشكل بيننا.

بعد أن تنحنحت، حاولت توجيه لكمة أخرى. قمت بتدوير وركها بالتزامن مع الحركة، شاعراً براحة يدي تنطبق على هيكلها.

كان شعرها المجعد يصفعني باستمرار على وجهي، وتفوح منه رائحة العسل المعتادة. لكنني لم أجرؤ على الشكوى من قربها، خوفًا من أن تبتعد.

تنهدت أدينا، مبطئة من لكماتها:

– «أتساءل ماذا سترتدي بيدن في الحفل. من الأفضل أن يلبسوها شيئًا لا يبهت مع لون شعرها الفضي هذا. وهي ترفض تمامًا ارتداء أي شيء مزركش أو...»

– «ركزي يا أدينا.»

كان جهدي منصبًا على التأكد من أنني لا أستخدم الاسم المستعار الذي أطلقته عليها.

واصلت حديثها وكأنني لم أفتح فمي من الأساس:

– «أقصد، من الصعب بما فيه الكفاية إقناعها بارتداء أي شيء غير تلك السترة التي صنعتها لها.»

تنهدت، يائسًا من تغيير الموضوع:

– «هل بيدن هي عائلتكِ الوحيدة، أم مجرد موضوع حديثكِ الوحيد؟»

ألقت نظرة من فوق كتفها، وانزعاج خفي مرسوم على ملامحها:

– «كنا فقط أنا وأمي قبل أن تتوفى.»

اشتدت قبضتي قليلًا على وركها قبل أن توجه لكمة أخرى، وهذه المرة كانت أقوى بكثير من سابقاتها.

قلت، إذ لم تكن التعبيرات العاطفية سهلة بالنسبة لي أبدًا:

– «أنا... أنا آسف. لم أكن أعلم.»

هزت كتفيها، وانزلقت يدي مع الحركة. كاد صوت شهيقها أن يجعلني أبتسم، لكنني حافظت على رباطة جأشي وأنا أمرر راحة يدي على طول كتفها المتيبسة. استطعت الشعور بارتعاشة جسدها تحت بشرتي.

تنفست بصوت مرتجف:

– «لا بأس. كانت مريضة. لم يكن بوسع المعالجين (هيلرز) فعل شيء.»

سألت بهدوء:

– «وأنتِ تعيشين في الشوارع منذ ذلك الحين؟»

أومأت بطريقة استرجاعية:

– «خمس سنوات الآن. خمس سنوات في الحصن مع بيدن.»

حينها استدارت بسرعة، صافعة وجهي بخصلاتها المجعدة:

– «أوه، لا يزال عليّ أن أريك الحصن! لقد وعدت بأن تقضي الليلة هناك.»

أبعدت إصبعها الطاعن عن وجهي:

– «هل فعلت؟ لا أتذكر.»

عقدت الآن ذراعيها النحيلتين فوق صدرها:

– «لا تكذب علي يا ماك...»

تعثرت في تدقيقها قبل أن ترمقني بنظرة متحدية:

– «كيف يفترض بي أن أوبخك بشكل لائق إذا كنت لا أعرف اسمك الكامل؟»

– «جيد.»

أزحت خصلة مجعدة عن عينيها لتتمكن من رؤيتي بوضوح وأنا أقول:

– «دعينا نبقي الأمر على هذا النحو.»

كان الصوت الذي خرج من حلقها أشبه بتأوه محبط:

– «هل يُسمح لي بمعرفة أي شيء عنك؟»

– «بالطبع.»

أومأت نحو الزي الممتد على الأرض:

– «مقاساتي.»

أغمضت عينيها ببطء، ورفرفت برموشها الداكنة ضد خديها الناعمين. كان من المضحك رؤية الإحباط يومض على ملامحها. لكنها خنقته بسرعة بابتسامة على طريقة أدينا المعتادة.

قالت بابتسامة تحمل في طياتها لدغة خفية:

– «حسنًا. إذن أنت لا يحق لك معرفة أي شيء عني أيضًا.»

أومأت ببطء، فقط لأتمكن من إخفاء ابتسامتي الخفيفة بخصلات الشعر المتساقطة حول وجهي.

أوه، أنا أعرف الكثير بالفعل.

الفصل 8

أدينا

– «**هل** يمكنني فتح عينيّ الآن؟ هل أنت لائق؟»

سُمعت خشخشة قماش تلاها إجابة جافة:

– «أنا أرتدي ملابسي، إذا كان هذا ما تسألين عنه.»

فتحت عينًا واحدة بخلسة لتقع على البنطال الأبيض الناصع المتدلي من وركيه...

أطبقت شفتيّ على بعضهما.

وركاه لا يزالان عاريين.

كان يقف هناك بنصف زي فقط، تاركًا صدره مكشوفًا وعينيّ متسعتين. انزلقت نظراتي على الندبات المتناثرة التي تشوه بشرته قبل أن أستجمع القوة أخيرًا لأشيح بنظري. قبل أيام قليلة، كان صدره العاري سيمثل مشهدًا أقل إثارة للاهتمام، أما الآن... الآن، أنا مفتونة بشكل مروع بكل تفاصيله.

سأل بنظرة فاحصة:

– «ماذا؟ لا تتصرفي وكأنني الرجل الوحيد الذي رأيته بلا قميص.»

احترقت وجنتاي:

– «همم؟ صحيح.»

تسمر مكانه، وضاقت عيناه:

– «لم تفعلي، أليس كذلك؟»

اندفعت مدافعة:

– «لا، هناك الكثير من الرجال الذين يتجولون في ‹حي النشّالين› بلا قمصان...»

أومأ ببطء:

– «صحيح. وهل تحدقين بهم دائمًا بهذه الكثافة؟»

لم أظن أن وجهي يمكن أن يزداد حرارة.

قلت وأنا أتعثر في كلماتي قبل أن أستدير لاعنة نفسي للابتعاد عن عينيه المتطفلتين:

– «أيًا كان. أسرع، لدي أماكن يجب أن أكون فيها.»

كانت نبرته ساخرة:

– «أحقًا؟ وإلى أين أنتِ ذاهبة الليلة غير القصر؟»

صرحت برضا:

– «في حال نسيت، لدي عمل لأديره.»

– «آه، نعم.»

استرقت النظر في الوقت المناسب لأمسك به وهو يسحب النصف العلوي من زيه فوق الأمواج الفوضوية المتساقطة حول وجهه.

تابع:

– «لديكِ ملابس لتبيعيها. الآن حتى أولئك الذين يعيشون في العشوائيات يمكنهم أن يتضوروا جوعًا بأناقة.»

رمقته بالنظرة الجديدة التي طورتها – مزيج بين عدم الانبهار والتسلية الطفيفة:

– «حسنًا، عندما تضع الأمر بهذه الطريقة...»

سخر قبل أن يرفع ذراعيه، متفحصًا صنيع يدي بالكامل:

– «هل أبدو مناسبًا للدور؟ في الظلام، على الأقل.»

خطوت بضع خطوات بطيئة نحو هيئته المكسوة بالبياض، متفحصة كل درز ولوح على طول القماش. ثم صفقت بيدي معًا، مصدرة صرخة حماس خفيفة:

– «إنه مثالي! تبدو مخيفًا أكثر من المعتاد.»

ارتعشت شفتاه:

– «لقد حان الوقت أخيرًا لتقدمي لي مجاملة.»

– «أوه، انتظر، شيء آخر.»

خطفت القناع الجلدي من على طاولة العمل المغبرة. مقتربة بما يكفي لأشم رائحة النشا التي غمرت بها زيه – من أجل الأصالة، بالطبع – نظرت لأعلى إلى العينين الداكنتين المثبتتين عليّ بالفعل.

كنت أدرك تمامًا أننا نتشاطر الهواء ذاته بينما أرفع يدي لأثبت القناع على عينيه وأنفه. جعلني شعور نظراته التي تجوب وجهي أتعرق من راحة يدي. لكنني واصلت إعجابي بملامحه، متتبعة منحنى عظام وجنتيه تحت القناع، والجسر المستقيم لأنفه في المنتصف. وعندما انزلقت نظراتي على الندبة التي تزين شفتيه، اضطررت لمحاربة الرغبة في تمرير إصبعي عليها.

زمجر وصوته يحوم فوق وجهي:

– «لا أزال مخيفًا؟»

أكدت له وأنفاسي لاهثة:

– «أكثر من أي وقت مضى.»

راقبنا بعضنا البعض لعدة أنفاس مهتزة قبل أن يتنحنح:

– «أليس لديكِ أماكن يجب أن تكوني فيها؟ قميص أزرق معين لتبيعيه؟»

عند ذكر إبداعي الذي انتقده بقسوة، اكتسبت القوة لأتراجع خطوة بعيدًا عنه:

– «بلى، لدي. وإذا لم يُبع، فأنا أعرف تمامًا ما سأرتديه في مهمتنا الصغيرة.»

هز رأسه غير مصدق، وعقد ذراعيه الضخمتين على صدره:

– «أتعلمين، أنتِ داهية أكثر بكثير مما تبدين عليه.»

رفعت ذقني:

– «وكيف أبدو بالضبط؟»

– «رقيقة. متواضعة. جميلة بما يكفي لتنجي بارتداء ذلك القميص الأزرق المروع.»

كان حلقي جافًا، لكنني حاولت الابتلاع على أي حال. كان ينظر إليّ بنفس الطريقة التي أنظر بها إلى خياطتي. أضاء الإعجاب عينيه حتى وهو يبحث عن أي نوع من العيوب للتركيز عليه. وكأنه يتوق لسبب يجعله يمزق طبقات ما يربطنا ببطء معًا.

طمأنته قائلة:

– «إذن سأرتديه لا محالة.»

بعد التخبط بحثًا عن مقبض الباب – وهو فعل يرتبط عادةً بتلك اللحظات التي تتلكأ فيها عيناه عليّ – أسرعت بالخروج إلى الزقاق.

رسمت الشمس بقعًا على وجهي، وكست أنفي بالدفء بينما كنت أسرع في ‹حي النشّالين›. وجدت الحصن لم يُمس لحسن الحظ، بالنظر إلى أنه يبدو للعين غير الخبيرة وكأنه، في الواقع، كومة من القمامة. تذكرت قراري بإعادة التزيين من أجل بيدن عند عودتها وأضفت المهمة إلى قائمتي الذهنية للأعمال.

رفعت إحدى السجادات العديدة، فوجدت الملابس مدفونة تحتها، وهي تنتمي إلى الصرة التي ألقيتها في الزقاق أثناء محاولة السرقة. بعد أن التقيت بماك، عدت لأجمع أعمالي بشكل لائق وأنفض عنها الغبار قبل التأكد من إخفاء كل قطعة قماش تحت طبقات الحصن المتعددة.

بمجرد أن جمعت حزمة الملابس بين ذراعي، انطلقت نحو الزاوية التي أهملتها لما يقرب من أسبوعين الآن. لكن بعد الليلة، لن أحصل على طعام مجاني أو أتدثر براحة تحت أغطية سريره – ليس لأنني لا أرغب في استمرار ذلك. لكن ماك أوضح تمامًا أنه لا ينبغي لي رؤيته بعد مهمتنا. ورغم ذلك، لم أجد بعد سببًا وجيهًا لذلك.

إنه يجعلني سعيدة، لأي سبب عبثي غريب. إنه ليس بالضبط شعاعًا من أشعة الشمس، بل ربما شيء يعادل ضوء القمر. غامض ومثير للقلق. وبنفس القدر من الجمال، ورغم ذلك، ناعم بما يكفي للتحديق فيه.

ومع استحواذ التفكير في ماك على ما تبقى لدي من عقلانية، أسرعت في الشارع المزدحم. كنت على وشك الوصول إلى زاويتي ولم أسقط قطعة ملابس واحدة بعد. هذا شيء آمل أن يصبح حدثًا معتادًا. ومع وضع هذا الهدف في الاعتبار، عانقت كومة القماش بإحكام أكبر بينما أسرعت نحو فم زقاقي المعتاد.

يمتلك معظم التجار عربات يبيعون منها. أما أنا، فلدي طرقي الخاصة.

قبل سنوات، ثبتنا أنا وبيدن سلكًا طويلًا عبر مدخل هذا الزقاق، وأنا مصدومة لكون المسامير الصدئة لا تزال صامدة. وبينما كنت أوازن صرة الملابس بين ذراعي، بدأت أفردها عبر السلك لعرض أعمالي. صُنع منها ما يشبه اللافتة المؤقتة، ملونة بما يكفي لجذب الانتباه.

بمجرد ترتيب كل قطعة حسب ذوقي، جلست أسفل العرض وحاربت الرغبة في قضم أظافري من الملل. وقررت قضاء وقتي بحكمة، فبدأت أعبث بقطع الجلد المتبقية من زي ماك.

تبادرت إلى ذهني مجموعة سكاكينه المعروضة بينما كنت أمرر إبهامي على المادة الملساء. لم يكن لديه طريقة لحملها معه دون الخوف من التعرض للطعن بالشفرات البارزة.

حينها بدأت فكرة تتبلور. وفجأة، أخذت الأنماط والمقاسات تدور خلف جفنيّ المغلقين، وتصطف لتشكل تصميمًا ملموسًا. بدأت في تمزيق القماش وتثبيت الزوايا بالدبابيس، أراقب فكرتي تنبض بالحياة.

حينها تذمرت معدتي، وكان الصوت تذكيرًا بالمال القليل الذي أملكه. ومع وضع ذلك في الاعتبار، ابتسمت بإشراق لكل شخص يمر، وكأن ذلك يكفي لإقناعهم بشراء شيء ما.

وفقط عندما بدأت أعتقد أن محاولاتي تخيف الزبائن وتبعدهم، سار رجل نحوي.

وقفت، وعلقت مشروعي على السلك، وحييته بما آمل أن تكون ابتسامة أقل يأسًا قليلًا. راقبته وهو يقترب، وشاهدت الملامح الضبابية تصبح مألوفة مع كل خطوة.

أنا أعرف هذا الرجل. وجهه هو أحد الوجوه التي أراها عندما أغمض عيني قبل النوم. هذا أحد الرجال الذين طاردوني.

دندن مقتربًا ليمحو المسافة بيننا:

– «مرحبًا يا جميلة. تبدين أجمل بكثير في وضح النهار.»

زاغت عيناي بتوتر، ناظرة إلى المارة. وبإحساس زائف بالأمان، حاولت إبقاء الأمور مهذبة. مهنية رغم عدم ارتياحي.

قلت:

– «صباح الخير يا سيدي.»

كانت ابتسامته المتكلفة المستجيبة مزعجة.

تابعت:

– «هل تبحث عن شيء معين؟ ربما هناك سيدة تتسوق من أجلها؟ لأن لدي هذه البلوزة الزرقاء الجميلة التي...»

قاطعني وصوته أجش وعيناه الزرقاوان تشتعلان:

– «أود رؤيتها عليكِ. حسنًا، وهي منزوعة عنكِ، في الواقع.»

تراجعت خطوة للوراء، شاعرة بالجدار القذر فجأة يلامس كتفيّ. ارتجف صوتي، لكنني أجبرت الكلمات على الخروج:

– «أعتقد أنه يجب عليك المغادرة الآن.»

تسمرت عيناي على عينه المتورمة التي يزهر حولها السواد بينما كان يمرر يده عبر شعره البني الدهني. اتسعت ابتسامته جنونًا وهو يقول:

– «أوه، لا، لن أدعكِ تغيبين عن ناظري مرة أخرى يا جميلة.»

انفرجت شفتاي، لتتعثر الكلمات في خروجها:

– «أرجوك، أنا...»

– «ألم أعتنِ بكِ بشكل لائق في المرة الأولى؟»

قطع ذلك الصوت الجاف صوتي، مشبعًا بالتحدي. ارتفعت عيناي إلى الهيئة الشاهقة التي ظهرت فجأة خلف الرجل الذي يضيق الخناق عليّ.

بدا ماك مسترخيًا، بل يشعر بالملل، وهو ينتظر بترقب وعيناه معقودتان فوق صدر عريض. كان معظم شعره الأبنوسي مربوطًا بشريط إلى الخلف، رغم أن عدة خصلات سقطت حول وجهه، تتطاير في النسيم العليل. كانت تلك الخصلة الفضية تطل عليّ، تلمع بألفة وراحة.

ترقرقت الدموع في عيني بمجرد رؤيته.

استدار الرجل بسرعة، واتسعت عيناه:

– «تبًا.»

لست متأكدة تمامًا كيف حدث ذلك، نظرًا لأنني اخترت لحظة غير مناسبة تمامًا لأرمش. لكن وجه الرجل اندفع فجأة نحو الجدار القذر بجانبي بينما ضغطت ذراع ماك بطولها على مؤخرة عنقه.

قال ماك بجفاف:

– «أنت بطيء التعلم بشكل يثير الشفقة. ظننتُ أن عينًا سوداء واحدة ستكون كافية لإيصال رسالتي. لكن يبدو أنك تود واحدة مطابقة.»

كان صوت الرجل مكتومًا ضد الطوب:

– «أ-أنا لم أتعرف عليها، أقسم!»

انحنى ماك هامسًا:

– «كلانا يعلم لماذا هذه كذبة.»

ثم أمسك الرجل من ياقته ليديره بقسوة، دافعًا ظهره ضد الجدار. تلعثم الرجل، مما أجبر ماك على التحدث فوق صوته:

– «دينا، أعتقد أنه يجب عليكِ القيام بالواجب.»

نعبتُ من مكاني حيث أقف مشدوهة بجانبه:

– «مـ-ماذا؟»

قالها ببساطة، وكأن لدي أي فكرة عما يقترحه:

– «سيكون تدريبًا جيدًا. كنت سأدعكِ تلكميني لو تطلب الأمر، لكن هذا خيار أكثر جاذبية بكثير.»

هززت رأسي رافضة:

– «أنت... أنت تريدني أن ألكمه؟ لا، تفضل أنت. أنا بخير.»

– «دينا.»

أكدت له بابتسامة غير مقنعة:

– «حقًا، سأترك هذه لك. هذا مجال تخصصك أكثر.»

بتنهيدة، مد يده ليطبق على ذراعي، ساحبًا إياي نحوه رغماً عني:

– «هيا. هذا جزء من تدريبك.»

سوّى كتفيّ، مهيئًا إياي للكمة:

– «ماك، أنا...»

غمغم صوته:

– «فكري فيما حاول هو وأصدقاؤه فعله. فكري فيما سيستمر في محاولة فعله مع نساء أخريات في العشوائيات.»

أخذت نفسًا لأستجمع قواي، تتيح لكلماته أن تتغلغل في داخلي. لكن ما قاله تاليًا هو ما جعل قبضتي تطير نحو وجه الرجل.

– «فكري فيما قد يحاول فعله بـ بيدن.»

بصق الرجل الدم من فمه. وسرى الألم في ذراعي، وكأن مفاصل أصابعي قد غُمست في النار. صرخت بصوت مجهد:

– «بحق الطاعون!»

رفع حاجبيه متعجبًا من صرختي:

– «هيا، أخبريني بما تشعرين به حقًا.»

عانقت يدي، ونظرت حولي قبل أن أعلن بهدوء عما كتمته:

– «تبًا! لقد آلمني ذلك كـ... كالجحيم!»

ابتسمت بخجل رغم الألم، شاعرة بالفخر لشتيمتي. وعندما استجمع ماك أضعف ابتسامة ممكنة، علمت أنه يشعر بالشيء ذاته.

قال:

– «وقفة جيدة يا حلوتي. ربما تعلمتِ شيئًا بالفعل.»

ثم التفت إلى الهيئة المرتعدة المسمرة ضد الجدار وتابع:

– «إياك أن تدعني أراك مجددًا.»

اختفى في لمح البصر، راكضًا بأقصى سرعة في الشارع ودافعًا الأجساد جانبًا. هززت يدي المؤلمة، وراقبت ماك وهو يتتبع حركات الرجل حتى اختفى وسط الحشد. همست:

– «شـ–شكرًا لك.»

قبل أن أدع رأسي يسقط بضعف على صدره.

ترددت ذراعاه قبل أن تطوقاني، ولم أضيع ثانية واحدة قبل أن أفعل الشيء ذاته. وعندما حررته أخيرًا من عناقي الساحق، تنحنحت، لأحظى بانتباهه لسؤالي الهادئ:

– «ماذا فعلت_في تلك الليلة التي ذهبت فيها للبحث عن أولئك الرجال؟»

أزاح خصلات الشعر المتناثرة عن وجهه:

– «لقد وجدتهم.»

انحنيت نحوه:

– «وماذا بعد ذلك؟»

نظر إلي بتعبير خاوٍ:

– «ظننت أنني ضمنت ألا يقتربوا من محيطك أبدًا مرة أخرى. من الواضح أنني فشلت.»

رمشت بعيني حوالي اثنتي عشرة مرة قبل أن أجد صوتي أخيرًا:

– «لماذا ظننت أنه يكذب بشأن عدم التعرف عليّ؟ أقصد، كان الجو مظلمًا_في تلك الليلة و...»

قطع صوته صوتي:

– «كان يكذب يا أدينا. صدقي ذلك وحسب.»

فتحت فمي لأطرح عدة أسئلة أخرى عندما ابتعد فجأة:

– «ما رأيك_في كعكة عسل لزجة للاحتفال بأول اعتداء لكِ؟»

ضربت ذراعه بخفة:

– «وأنا لا أنوي فعل ذلك أبدًا مرة أخرى. يدي تؤلمني. وأنا أحتاجها نوعًا ما للخياطة.»

وبعد لحظة سريعة من التأمل، أضفت:

– «لكنني لن أرفض أبدًا كعكة عسل لزجة.»

ارتعشت شفتاه:

– «أوه، أنا أعلم ذلك.»

راقبته وهو يتلاشى في الشارع قبل أن أسمح لنفسي بالانزلاق مسندة ظهري إلى الجدار. كان قلبي لا يزال يخفق بشدة في صدري، فأغمضت عيني بشدة وكأن ذلك سيبطئه.

قاطعت نقرة قوية على كتفي تنفسي العميق.

فتحت عيني على جندي إمبراطوري يفوح منه عبق النشا ويعبس بلامبالاة. جفلت عند رؤيته وترنحت للخلف نحو الجدار. بدا الرجل غير متأثر بذلك، وفتح فمه فقط ليتلو الكلمات التي أُعطيت له.

– «أنا هنا لمرافقتكِ إلى القلعة.»

ومضت الكعكة اللزجة المسروقة أمام عيني، وفي اللحظة التي تأكدت فيها من أنني سأُسجن بسبب جريمتي، قال:

– «لقد تم استدعاؤك كخياطة نيابة عن إحدى متسابقات تصفيات التطهير.»

همست:

– «بيدن.»

قبل أن يتابع حديثه رغم سقوط فكي من الصدمة:

– «نعم، من أجل بيدن غراي.»

بدا مستاءً للغاية من قضاء صباحه بهذه الطريقة وأضاف:

– «إنها تنتظركِ في العربة.»

الفصل 9

أدينا

كان يبدو وكأنه يحرس الكعكة اللزجة بحياته.

نسجت طريقي بين الأجساد، شاقة طريقي نحوه بالقوة. كان يلف ذراعيه حول حلوتي، يحمي الحمولة الثمينة من عدة مرافق طائرة.

– «ماك!»

ابتلعت الجلبة صرختي، لكنني أجبرت صوتي على الارتفاع:

– «ماك!»

عندما التفت رأسه في اتجاهي، لوحت بيدي في الهواء، قفزت عاليًا بما يكفي لجذب انتباهه. عند رؤيتي، أقسم أنه ابتسم.

حرك رأسه نحو زقاق قريب – أمر صامت باللحاق به. تعثرت خلفه، دافعة الحشد حتى تمكنت من استنشاق هواء الزقاق المفتوح.

تفحصني عن كثب وسأل:

– «ماذا يحدث؟ هل كل شيء على ما يرام؟»

انفرجت شفتاي عن ابتسامة، وكان صوتي أشبه بصيحة:

– «كل شيء أكثر من على ما يرام! إنها هنا. إنها هنا وستأخذني معها!»

خطا نحوي، واضعًا يده على كتفي:

– «تمهلي. من التي هنا؟»

– «بيدن!»

تدفقت الكلمات من فمي:

– «أخبرني إمبراطوري أنه يتم إرسالي إلى القصر لأصبح خياطتها الخاصة_في حفلات التصفيات! أليس هذا رائعًا؟ سأتمكن من خياطة فساتينها و...»

– «متى؟»

جعلتني النبرة الباهتة لصوته أتعثر:

– «أمم، الآن،_في الواقع. لكنني أخبرت الإمبراطوري أنه كان عليّ أن أودعك، لذا كنت أحاول العثور عليك قبل أن أضطر للعودة إليه.»

– «لكن،»

كان صوته مميتًا بشكل ينذر بالخطر:

– «لدينا مهمتنا الليلة. لدينا خطة. خطة لكي نتسلل كلانا إلى القلعة.»

هززت رأسي، آملة أن تلطف الابتسامة الأجواء:

– «ماك، الزيّ جاهز. أنت حر_في الذهاب إلى القلعة متى...»

غمغم، لنفسه أكثر:

– «لا، سيكون الأمر أكثر خطورة بدونكِ. أحتاج إلى قدرتكِ هناك معي.»

غيرت وقفتي وقلت:

– «انظر، أستطيع أن أفهم سبب توترك من الذهاب وحدك. لماذا لا تكتب فقط لهيرا ملاحظة، ويمكنني التأكد من وصولها إلى...»

صرخ وهو يمرر يده_في شعره الأشعث:

– «أنتِ لا تفهمين! أحتاج أن أكون هناك! كان مقدرًا لنا أن نذهب معًا حتى أتمكن من ضمان وجودكِ في نطاقي، أما الآن فلن يكون لدي أي فكرة عن مكانكِ...»

تلاشى صوته، متمتمًا بالمزيد من الأشياء التي لم أفهمها.

– «ماك.»

هز رأسه عند ذكر اسمه.

تابعت:

– «أنا... أنا لا أفهم. عما تتحدث؟»

مددت يدي، آملة أن أمررها بشكل مطمئن على ذراعه. لكنه تراجع خطوة للوراء، دافعًا مسافة بيننا.

اندفع قائلًا:

– «أحتاج إلى إخراجها من هناك! خارج هذه المملكة! وإذا كنتِ قابعة في مكان عميق جدًا داخل القلعة، فلن أتمكن من الاستحواذ على قدرتكِ. أو الأسوأ من ذلك، سأصادف الأمير الذي سيستشعر حقيقتي بالضبط.»

رددت بهدوء:

– «تستحوذ على قدرتي؟»

تنفس قائلًا:

– «نعم يا أدينا، أستحوذ على قدرتكِ. لأن هذا هو ما أفعله. ما أنا عليه.»

خطا نحوي، مجبرًا إياي على التراجع حتى اصطدم كتفاي بالجدار:

– «والآن سيكون من الصعب إنقاذها.»

دار عقلي، مستعرضًا كل معلومة أُعطيت لنا عن النخبة. من المعروف للعامة أن كاي آزر هو المستحوذ (ويلدر) الوحيد المسجل في كل إيليا. يعتقد البعض أن السبب هو أنه لم يمتلك أحد يومًا مثل هذه القوة، بينما يتكهن آخرون بأن الملك قد ضمن أن يكون ابنه هو النخبة الأقوى في المملكة عن طريق القضاء على أي تهديد آخر.

وأعتقد أنني ربما أحدق في واحد منهم. ربما كنت أحدق في واحد لأسابيع.

سد الارتباك حلقي، مما أجبرني على ابتلاع ريقي:

– «أنت لست عابرًا (فايزر).»

ضحك، وكان الصوت متوترًا ومريرًا:

– «لا يا حلوتي. لست كذلك. وستموت هيرا في هذه التصفيات إذا لم أتمكن من إخراجها.»

هززت رأسي، محاربة الدموع التي بدأت تلسع عيني:

– «تخرجها؟ تقصد، تهرب معها؟»

فتح فمه ليتحدث، لكن الغضب كان يندفع بالفعل من فمي:

– «كنت ستتركني! كنت ستحصل على هيرا وتفر من المملكة!»

أخذت نفسًا مرتجفًا وأكملت:

– «كنت ستموت عندما يمسكون بك.»

تنفس قائلًا:

– «كان محكومًا عليّ بالموت على أي حال. كانت مسألة وقت فقط قبل أن يكتشف أحدهم حقيقتي. ولا يمكن أن يكون هناك سوى مستحوذ (ويلدر) واحد في المملكة.»

تشوشت رؤيتي بدموع لم تُذرف:

– «لقد كذبت عليّ. لقد استغللتني.»

هز رأسه، حاثًا إياي على الفهم:

– «هيرا هي كل ما تبقى لي...»

غصصت بكلماتي:

– «كنت تملكني! كنت تملكني، وكنت سأحفظ سرك. ليس لديك أدنى فكرة عما أنا مستعدة لفعله من أجل الأشخاص الذين أهتم بهم. لكنك كذبت.»

تعثرت نحو الشارع، ماسحة وجنتي المبللتين بغضب:

– «على الأقل كنت أمتلك اللياقة لأقول وداعًا.»

تخلصت من قبضة ماك، سامعة صرخة خافتة باسمي بينما كنت أختفي في تيار الناس.

الفصل 10

ماكرتو

راقبتها وهي تصعد إلى العربة، مسترجعًا اللحظة التي راقبت فيها هيرا تفعل الشيء ذاته. عندما انغلق الباب، حُجبت عن ناظري، ومن المرجح أنها تبتسم مع صديقتها وكأنها لم تكن تمسح الدموع عن وجهها للتو. دموع أنا الملوم عليها.

كنت أتساءل عما يتطلبه الأمر لتحطيمها. كم من الوقت سيمضي قبل أن تبهت سعادتها تلك مثل بقيتنا. والآن أتمنى لو أنني لم أكتشف ذلك أبدًا. لأنني من فعل بها هذا.

استدرت مبتعدًا عندما بدأت العربة تتدحرج متجهة أسفل الطريق، سارقة إياها مني. كان ‹حي النشّالين› يفيض بالمتفرجين المحدقين، وكلهم ابتسامات وتلويحات لمتسابقتهم التي توقفت للزيارة.

دافعًا طريقي بإهمال وسط الحشد، شعرت بثقل كل قدرة سحرية محيطة، كل منها يهدد بخنقي. إنها المرة الأولى منذ أيام التي أسمح فيها لنفسي بالاعتراف بعبء ذلك كله، بالاختناق المطلق للقوة.

لو أنها فقط تعرف ما كنت سأتخلى عنه لأكون مثلها، لأكون ما كذبت بشأنه. لأن كوني مستحوذًا (ويلدر) لم يجعلني يومًا سوى ضعيف. مستهدف. وحيد.

لكن كل ذلك كان يُنسى عندما كنت معها. عندما كنت ببساطة عابرًا (فايزر) في حضورها. والآن قد لا أحظى بشرف التواجد في حضورها مرة أخرى أبدًا.

ربما كان ينبغي علي أن أدع والدي يفعل بي ما يشاء. أدعه ينهي ما بدأه في اليوم الذي كسبت فيه ذلك الجرح الغائر في شفتي. كان ذلك ليؤلمني أقل من الكذب على دينا من خلالهما.

لكن بدلًا من ذلك، هربت إلى هيرا – والآن أحتاج إلى فعل ذلك مرة أخرى. لكن هذه المرة، سأكون أنا من ينقذها.

شققت طريقي وسط الحشد، وعقلي مشغول بالعربة التي تتدحرج نحو القلعة التي يفترض بي الذهاب إليها الليلة. سأحتاج إلى إعادة صياغة خطتي المحفوفة بالمخاطر أصلًا، بالنظر إلى أنني لن أحظى بقدرة أدينا لمساعدتي. لم يعد التسلل دون أن يلاحظني أحد خيارًا متاحًا.

مجرد التظاهر كإمبراطوري هو الخطة الوحيدة المتبقية لدي.

أظن أنني سأكتشف مدى إقناع زي أدينا.

وجدت نفسي فجأة أقف أمام باب متجري، دافعًا إياه بكتفي مع الصوت المألوف لصرير المفصلات. بدت الغرفة باهتة، كئيبة بدون نورها ليملأها. لم يتبق منها سوى قصاصات قماش، والإبرة والخيط هما حبلي الأخير المتبقي بوقتنا الذي قضيناه معًا.

خطوت ببطء في أرجاء الغرفة، متفحصًا كل سطح تركته في حالة فوضى. تلتصق طبقة رقيقة من العسل بزاوية طاولة عملي، لتميّز مكانها المعتاد. الجدار المبطن الذي كانت تتدرب فيه على اللكمات لا يزال يحمل انبعاجات مفاصل أصابعها. توقفت عيناي عند الملاءات المجعدة التي تدثرت بها يومًا، ولا تزال تفوح منها رائحة بشرتها.

هززت رأسي، مذهولًا من سخافتي. لم يكن مقدرًا لهذا الأمر أن يخرج عن السيطرة هكذا أبدًا. كانت هذه المشاعر غير مرغوب فيها وغير متوقعة بالقدر نفسه. كان القصد منها أن تكون وسيلة لتحقيق غاية، الخطوة الأولى نحو حياة جديدة بعيدًا عن إيليا والتهديدات الكامنة فيها. كنت راضيًا باستغلالها إذا كان ذلك يعني أنني أستطيع تهريب هيرا خارج هذه التصفيات. كان هذا هو الأمل الذي تشبثت به. لأن ذلك كان كل ما تبقى لي.

"كنت تملكني!"

تردد صدى صوتها المتألم في جمجمتي، مجبرًا إياي على استرجاع كلماتها المريرة. لكن هذا لا يجعلها حقيقة. لأنني لن أتمكن أبدًا من امتلاكها، ولن أتمكن أبدًا من وضع إشراقها في زجاجة، أو تخزين ابتساماتها. أنا لا أستحقها – ولقد عرفت ذلك منذ اليوم الذي رأيتها فيه بذلك القميص الأزرق البشع.

هويت على حافة سريري، ووقعت عيناي على قطعة قماش ملقاة على الأرض. انحنيت لالتقاطها، فمر إبهامي على خليط الغرز المفكوكة.

إنها القطعة التي أجبرتني على التدرب عليها.

لكن ما طرزته بأناقة في الأعلى هو ما سحب ابتسامة لتمط ندبتي:

استمر في التدريب!

تتبعت الحروف مرارًا وتكرارًا، مذكرًا نفسي بالمهمة التي بين يدي. تلك التي أنقذ فيها هيرا من هذه التصفيات، ونفسي من هذه المملكة.

لم أتخيل أبدًا أن المغادرة ستكون بهذه الصعوبة.

لأنه الآن، هناك هي وكل لحظة تأتي بعدها.

لم أعرف السعادة أبدًا قبلها، وإذا كان هناك "بعد" لا توجد هي فيه، فأنا أعلم أنني لن أعرفها أبدًا مرة أخرى.

أسقطت القماش، ومررت أصابعي الباردة على وجهي المحتقن.

كان ينبغي علي أن أستمع إليه. كان ينبغي علي أن أسلم نفسي كما أراد والدي بشدة. لأنني الآن أحمل حياة هيرا بين يدي بعد سنوات عديدة من فعلها للشيء ذاته من أجلي.

أنا أعرف ما يجب علي فعله.

لكن أصابع رشيقة وبشرة ناعمة تسحب قلبي فجأة في الاتجاه المعاكس.

الفصل 11

أدينا

التقى الدم بلساني، تاركًا وراءه طعمًا لاذعًا مزعجًا بشكل خاص.

مصصت إصبعي، محاولة إيقاف التدفق المستمر للقرمزي النازف على بشرتي. عادةً، يتلقى إبهامي القدر الأكبر من الإساءة من سن إبرتي، لكن يبدو أن سبابتي في خطر مساوٍ هذا المساء.

تفحصت البشرة المشوهة، لاعنة نفسي على حماقتي. عقلي بعيد كل البعد عن القماش الذي أمامي، تمامًا كما كان منذ هذا الصباح. ورغم أقصى جهودي، فإنه يستمر في الشرود عائدًا إلى ‹حي النشّالين› وإلى الصبي ذي اليدين الملطختين بالسخام، والشفتين المندوبتين، وتلك الخصلة الفضية الرفيعة.

زفرت، مالئة الغرفة الفارغة بانزعاجي بعد عدة ساعات من الصمت. يتدفق ضوء القمر الشاحب عبر النوافذ المغبرة التي تصطف على الجدران، ملقيًا توهجًا دافئًا على القماش الملون الذي يفيض من الرفوف ويتدلى على الطاولات.

لقد قضيت معظم أيامي متكورة في غرفة الخياطة، إلى جانب معظم لياليّ. ورغم ذلك، فقد قضيت من الوقت مع بيدن بقدر ما يسمح به جدولها المزدحم.

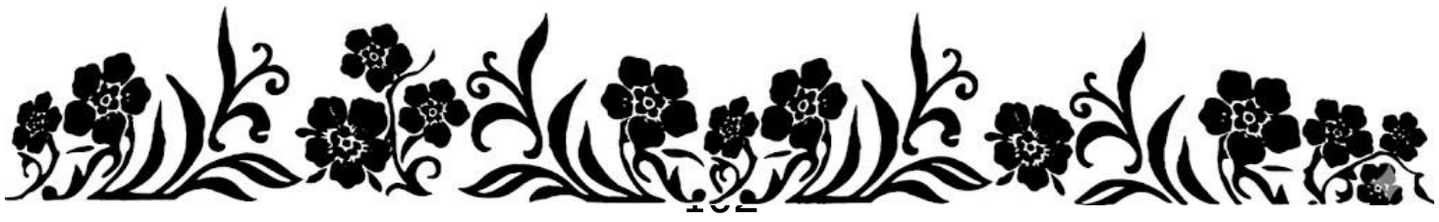

فبينما تتدرب هي وتستريح، أحاول أنا قصارى جهدي ألا أنزف على الفستان الذي أسابق الزمن لإنهائه.

يتدلى قماش فضي حريري على ساقي، كاسيًا إياي بما يبدو وكأنه عملات معدنية مذابة. وبمجرد أن تأكدت من عدم تسرب أي شيء من جروحي الطعنية المتعددة، مررت أصابعي على القماش للمرة الثانية عشرة. لم ألمس يومًا قماشًا كهذا، ناهيك عن القدرة على استخدامه. الغرفة الشاسعة بأكملها مكدسة بكل ما يمكن أن أحلم به من مؤن. تتناثر لفائف القماش على الجدران ذات الرفوف بينما تستقر العشرات من الطاولات فوق السجاد الناعم، كل ذلك من أجل راحة الخياطات.

أعتقد أنني ربما أكون قد مت واستيقظت في جنتي الخاصة والمصممة خصيصًا لي.

يطن المصباح على طاولتي بالطاقة – وهو أمر سحري في حد ذاته. لست معتادة على هذا القدر من الكهرباء، والمياه الجارية، والمراتب الناعمة. يمكنني أن أعتاد العيش في قلعة. يمكنني أن أعتاد العيش حقًا.

أخذت نفسًا عميقًا، وأجبرت تركيزي على العودة إلى الكم الرقيق المنسدل الذي أقوم حاليًا بخياطته على جسد الفستان. ومع إقامة الحفل مساء الغد، سلمت نفسي لحقيقة أنني سأقضي معظم ليلي وحيدة في غرفة الخياطة هذه.

لا يعني هذا أنني أشتكي.

فمع استغراق بيدن في نوم عميق، ليس هناك الكثير مما أفضل القيام به. علاوة على ذلك، أحتاج إلى شيء ليصرف تفكيري عنه.

لم يكن من الصعب الابتسام والضحك مع بيدن بعد أن صعدت إلى تلك العربة. لا، ما جاء بعد ذلك هو ما كان صعبًا. عندما انطلقت لتناول العشاء مع المتسابقين الآخرين، تاركة إياي في غرفة خياطة مليئة بالغرباء، حينها اضطررت أخيرًا للتفكير فيه. في الخيانة التي ضربتني كصفعة جسدية، مجبرة الدموع على التجمع في عيني.

لقد كذب علي. بشأن قدرته، وخطته، وكل شيء يخصه.

وها أنا ذا، كنت أظن أنه يهتم لأمري. أظن أن ما شعرت به تجاهه ربما كان متبادلًا.

لكنه يريد هيرا أكثر مني. هيرا التي هو مستعد للمخاطرة بكل شيء من أجلها.

هززت رأسي نحو القماش الذي كنت أخيطه بحنق. الهروب من التصفيات هو خيانة عظمى. كيف يمكنه المضي قدمًا في هذه الخطة وهو يعلم الموت الذي ينتظرهم عند الإمساك بهم؟

"كان محكومًا عليّ بالموت على أي حال."

كان تبريره مأساويًا بقدر ما كان حقيقيًا بشكل مرعب. لا أريد التفكير فيما كان سيحدث لو اكتُشف أنه مستحوذ (ويلدر). باختصار، كان الملك سيضمن ألا يستمر هذا الحال.

جعلتني هذه الفكرة أشعر بوخز الدموع في عيني، محولة القماش في حجري إلى لا شيء سوى كتلة فضية ضبابية. ومع شهقة، ربطت شعري في عقدة فوضوية، رامشة لأطرد المشاعر.

أنا غاضبة منه. لقد استغلني. كذب علي.

لكن كل فكرة تلاشت عندما تموج الجدار بجانبي.

لا، شخص ما تموج بجانبي.

قفزت على قدمي، قابضة على الإبرة بين أصابعي وكأنها ستفعل أي شيء لحمايتي.

اتسعت عيناي عندما خطا جندي بزيّ إمبراطوري عبر الجدار.

إمبراطوري بأنظف درز خياطة رأيتها في حياتي، وشعر أسود تقاطعه خصلة فضية.

انزلقت عيناه الداكنتان عليّ من خلف القناع الجلدي، واستقرتا على ما وجهته نحو صدره:

– «إذن، هذا ما قصدتِه بالتلويح بإبرتك.»

اخترقني ذلك الصوت الباهت، مروعًا بما يكفي ليجعلني أفقد صوتي للحظات:

– «مـ–ماذا...»

غصصت بالكلمة وحاولت مرة أخرى:

– «ماذا تفعل هنا؟»

ابتلع ريقه. كان عدم ارتياحه واضحًا، وجليًا في تبديل وقفة قدميه. كان الأمر وكأنه لا يعرف ماذا يفعل بنفسه، ولولا أنني كنت أحارب الكثير من المشاعر عند رؤيته، لربما ضحكت:

– «كنت أمشي في الأروقة وشعرت بقدرتكِ.»

تنحنح عند ذكر القدرة التي أبقاها مخفية عني:

– «عرفتُ أنها أنتِ. وأنا... احتجت لرؤيتكِ.»

أشرت إلى قامته الطويلة والإبرة لا تزال مهيأة للطعن:

– «هل هذا هو السبب الوحيد لزيارتك؟»

أشاح بنظره وتنهد:

– «انظري، لقد جئت لرؤيتكِ أولًا. يجب أن يعني هذا شيئًا.»

– «حسنًا، إنه لا يعني شيئًا.»

عقدت ذراعيّ بنبرة متحدية:

– «لا تدعني أؤخرك في طريقك للتسبب في مقتلك.»

همس وهو يخطو خطوة نحوي:

– «أرجوكِ. فقط دعيني أشرح...»

– «تشرح؟»

ضحكت بصوت عالٍ بما يكفي ليجعله يتلفت بتوتر:

– «كان لديك ما يقرب من أسبوعين لتشرح لي ما كان يحدث. وبدلًا من ذلك، كذبت.»

تراجعت خطوة للوراء بصوت متوتر:

– «وأمضيت كل يوم وأنت تعلم أنني لن أراك أبدًا مرة أخرى بعد أن أنتهي من صنع ذلك الزي الغبي من أجلك.»

كان مُصرًا، مندفعًا للأمام وهو يتوسل:

– «دينا. أرجوكِ. إذا لم يعجبكِ ما سأقوله، يمكنكِ طعني بإبرتكِ بمجرد أن أنتهي.»

رمقته بشك:

– «تعدني؟»

أومأ:

– «نعم. ولكن فقط لأنني أعلم أنكِ لن تفعلي ذلك حقًا.»

شعرت بالإهانة، رغم علمي بأنه محق تمامًا:

– «أنت لا تعرف ذلك.»

قال بنعومة:

– «أنا أعرفكِ. وأعرف أنني المقاتل، وأنتِ العاشقة المحبة للسلام.»

ابتلعت ريقي:

– «استمر.»

أخذ نفسًا ثقيلًا، يحمل ثقل شيء حمله لسنوات:

– «لقد هربت من المنزل. كنت في الرابعة عشرة من عمري حينها.»

هز رأسه قليلًا:

– «كانت هيرا في الثانية عشرة فقط، تعيش مع عائلتي لأن والديها قد توفيا. إنها ابنة عمي – ربما كان يجب أن أبدأ بذلك.»

كافحت لإخفاء الارتياح الذي غمر وجهي. لم يتحدث أبدًا عما تعنيه بالنسبة له. وأنا، بأنانية، ممتنة لقرابتهما ولا شيء غير ذلك.

تابع بهدوء:

– «هربنا من والديّ، وبدأنا نعيش بمفردنا منذ تلك اللحظة. إنها الشخص الوحيد الذي كان بجانبي. الوحيدة التي ساعدت في إبقائي على قيد الحياة بينما كنت أختبئ في الظلال، مرعوبًا من أن يكتشف أحدهم حقيقتي.»

خطا خطوة أقرب، مبتلعًا المساحة القليلة المتبقية بيننا:

– «ولهذا السبب يجب عليّ فعل هذا. لا يمكنني أن أتركها تموت. ليس بعد أن أمضت سنوات من حياتها في إنقاذي.»

لزمت الصمت لفترة أطول مما توقعه على الأرجح. راقبته وهو يتململ تحت نظراتي الفاحصة قبل أن أقول أخيرًا:

– «لماذا هربت؟»

هز رأسه قليلًا:

– «هذه قصة لوقت آخر.»

سألته، وبدا صوتي أكثر قسوة ربما من أي وقت مضى:

– «متى؟ أنت هنا لتقول وداعًا، أليس كذلك؟ لذا، لا تكذب علي يا ماك. ليس هناك وقت آخر لأتعرف عليك أخيرًا.»

غمغم:

– «ليس هناك الكثير مما يستحق المعرفة.»

– «حسنًا.»

حدقت فيه بتلك النظرة الثاقبة التي تعلمتها من أمي:

– «إذن أعتقد أننا انتهينا هنا.»

– «تريدين أن تتعرفي عليّ؟»

انتزع القناع من على وجهه، كاشفًا عن الملامح القوية المخبأة تحته:

– «أنا أعلم أنه لم يقنعني شخص واحد بالاهتمام به قبلكِ.»

– «لكن هيرا...»

صححني:

– «هيرا عائلة. لكنكِ... أنتِ تجسيد لكل ما لست أنا عليه. ورغم ذلك، ها أنا ذا، أزحف عائدًا إليكِ وكأنني تركت قطعة مني وراء ظهري.»

رفع يده ببطء، وحبست أنفاسي عندما مرر أصابعه على خصلة مجعدة متدلية.

وتابع:

– «وهذا يرعبني حتى الموت.»

تنفست قائلة:

– «إذن، ماذا تقول بالضبط يا ماك؟ أقصد، بأبسط طريقة ممكنة، أخبرني ماذا...»

– «أنا نادم على عدم شراء ذلك القميص الأزرق منكِ، ولو فقط لأحظى بانتباهكِ لفترة كافية لأقنعكِ بأن الأحمر يليق بكِ أكثر. أنا نادم على عدم إخباركِ بمدى إعجابي عندما تنفخين تلك الغرة بعيدًا عن عينيكِ، أو بالطريقة التي تصفقين بها بعد الانتهاء من صف من الغرز. أنا نادم على خنق كل ابتسامة جعلتني أرغب في إهدائها لكِ. وأنا نادم على عدم إخباركِ بالحقيقة. ولكن الأهم من ذلك كله، نادم على عدم قول الوداع.»

هوى قلبي، غائصًا في معدة مليئة بالفراشات. لم أستطع التفوه بكلمة، ولم أستطع تحريك أنملة وهو ينحني نحوي و...

تردد صدى وقع أقدام من الردهة بالخارج.

قفزنا مبتعدين عن بعضنا البعض، وطارت عيوننا إلى الباب المغلق وصوت الخطوات المتزايد خلفه. أعاد ماك تثبيت القناع على وجهه، وكان تعبيره أشد جمودًا من أن يناسب موقفنا.

همست بإلحاح:

– «يجب أن تذهب. الإمبراطوريون لا يأتون إلى هنا أبدًا، وإذا رآك من بالخارج، سيعلمون أن هناك خطبًا ما.»

قال بهدوء:

– «أحتاج إلى أخذ هيرا.»

– «سيمسكون بك.»

توسلت إليه، محاولة بشكل محموم أن أجعله يفهم:

– «على حد علمنا، قد يكون هذا كاي بالخارج.»

– «أدينا...»

ترجيته:

– «اذهب. أرجوك. لا حاجة لأن يموت كلاكما.»

أصبح وقع الأقدام أعلى مع كل ثانية نقضيها في الجدال.

هز رأسه:

– «إذن يجب أن أعود غدًا من أجلها.»

– «لا يمكنك ذلك.»

تسمرت عيناي على عينيه:

– «إنهم يحرسون أبواب المتسابقين في الليلة التي تسبق التصفية. سيوقفونك قبل أن تتمكن حتى من الوصول إليها.»

فتح فمه ليجادل، لكن همسي أسكته:

– «أرجوك يا ماك. لا تندم على هذا أيضًا.»

حدق فيّ للحظة طويلة دون أن يرمش. وفقط عندما ظننت أنه على وشك اتخاذ قرار مروع، مشى بخطوات واسعة نحو إحدى النوافذ العديدة المؤدية إلى الأرض بالخارج. وقبل أن يخترق الجدار إلى الهواء الطلق في الخارج، التفت ليغمغم:

– «تعالي لرؤيتي. أرجوكِ. لا أعتقد أنه يمكنني تحمل خسارة كلاكما.»

ثم اختفى، ذائبًا عبر الجدار وإلى داخل الليل.

لم يكن لدي سوى الوقت الكافي لأخذ نفس لتهدئة روعي قبل أن ينفتح الباب على مصراعيه.

سقط فكي عند رؤية الرجل_في المدخل قبل أن تنثني ركبتاي_في انحناءة تحية:

– «صاحب السمو! أمم، مرحبًا – عفوًا – لم أكن أتوقع مجيئك وإلا لكنت...»

– «لم تكوني هنا؟»

ضحك ملك إيليا المستقبلي بخفة كما رأيته يفعل مرات عديدة مع بيدن.

اعترفت بابتسامة مترددة:

– «ربما؟»

هز كتفيه:

– «لا ألومكِ. لم أعد ممتعًا كما كنت_في السابق.»

ضحكت:

– «أوه، أنا متأكدة من أن هذا ليس صحيحًا.»

ثم تنحنحت فجأة لأهذي قائلة:

– «أقصد، ليس لأنني أعتقد أنك تكذب بالطبع. كل ما_في الأمر أنني أعرف أن بيدن تستمتع بوقتها معك لذا... لا يمكن أن تكون مملًا جدًا؟»

أنهيت الجملة بسؤال غير متأكد بينما كنت أحارب الرغبة_في الفرار من الغرفة.

يجب أن أعمل حقًا على إبقاء فمي مغلقًا.

سأل، وبدا مستمتعًا:

– «أحقًا؟ هذه أخبار جديدة بالنسبة لي. بدأت أظن أنها تمقتني.»

تنهدتُ، وهززت رأسي:

– «حسنًا، كان ينبغي أن تدرك أنه لا ينبغي لها أن تمقتك.»

أضفت بسرعة:

– «صاحب السمو. لكنها لا تفعل دائمًا ما تعرف أنه ينبغي عليها فعله.»

أومأ موافقًا، وابتسامة خفيفة على وجهه:

– «لقد تعلمت ذلك.»

مشى بخطوات واسعة نحو الطاولة المضاءة المكسوة بالقماش الفضي:

– «هذا في الواقع هو سبب مجيئي آملًا في العثور عليكِ هنا.»

تلعثمت وابتسامتي تتسع:

– «حـ-حقًا؟ وما الذي قد تحتاجه مني؟»

تنهد قائلًا:

– «كبداية، أريدكِ أن تبدئي بمناداتي كيت، وليس (صاحب السمو). ثم، أحتاج إلى بعض النصائح.»

تهلل وجهي:

– «أعتقد أنه يمكنني فعل كلا الأمرين من أجلك يا كيت.»

– «مثالي.»

شبك يديه أمام سترته البحرية:

– «الآن، هل هذا هو الفستان الذي سترتديه في الحفل الأول؟»

أومأت بقوة:

– «أليس جميلًا؟ آه، لا أطيق الانتظار لرؤيته عليها. وقصته ستبرز حقًا...»

أطبقت شفتي على بعضهما عندما تذكرت مع من أتحدث:

– «لقد فهمت القصد. سيبدو رائعًا.»

تنهد وهو يبدو غير متأكد:

– «أوه، أنا متأكد من أنه سيكون كذلك. إنها بالتأكيد ستدلي ببيان قوي.»

حاربت لإخفاء عبوسي:

– «وأنت لا تريدها أن تفعل ذلك؟»

مرر أصابعه على القماش الناعم:

– «أريدها أن تكون حذرة، هذا كل شيء. هناك أشخاص في الخارج سيعتبرون جرأتها إهانة. أتعلمين، عدم ارتدائها اللون الأخضر كما هو متعارف عليه.»

أومأت ببطء، غير متأكدة مما أقول. لحسن الحظ، تحدث هو بدلًا مني:

– «إذن، ما رأيكِ؟ بدلة رسمية وربطة عنق سوداء؟»

مرر يده عبر شعره الأشقر الفوضوي:

– «لا أن هذا يهم. أشك في أن عددًا كبيرًا من الناس سينظرون إليّ على أي حال.»

ضحكت بخفوت موافقة:

– «ارتدِ مشبك ربطة عنق فضيًا. ولا تشعر بالإهانة إذا لم تلاحظه حتى. لكنه سيكون لمسة لطيفة لأولئك الذين يهتمون بالنظر عن كثب.»

تنفس قائلًا قبل أن يغرق في الصمت:

– «أوه، هناك دائمًا شخص ينظر عن كثب.»

طن الضوء فوق الطاولة؛ وهو الصوت الوحيد لعدة ثوان. كان ذلك قبل أن أتنحنح لأقول:

– «حسنًا، أنا دائمًا متاحة لجميع احتياجاتك الخاصة بالأزياء!»

التقت عيناه بعيني:

– «هل يمكنكِ أن تخبريني ما الذي أفعله بشكل خاطئ؟»

أذهلني السؤال للحظة:

– «بخصوص ملابسك؟»

تفحصته:

– «أقصد، هذا اللون بالتأكيد يكمل لون بشرتك...»

قهقه قائلًا:

– «لا. بيدن. إنها بالكاد تنظر إليّ.»

رفع يديه يأسًا، وسخر قليلًا:

– «أقصد، لست متأكدًا مما يجب أن أفعله بعد الآن. أجدها ساحرة بطريقة لم يكن بها أحد من قبل قط. وكأنها أكثر واقعية من أي شيء صادفته هنا في القلعة.»

ابتسمت لصوت نبرته، وللصدق الذي يغلف كل كلمة. استطعت أن أستشعر ولعًا أشك في أنه اعترف به حتى الآن. وجزء مني يأمل أن يرى أعز صديقة لي بجانبه بابتسامة صادقة على وجهها.

ربما كان مقدرًا لهما أن يكونا معًا في حياة أخرى. حياة لم يكن فيها هو وريثًا لعرش النخبة، ولم تكن بيدن تُعاقب لكونها من العاديين.

وضعت يدي على خصري:

– «بيدن كائن صعب. صدقني، أنا أعرف هذا عن كثب. لكنها متسقة مع ما تريده أكثر من الآخرين.»

هززت كتفي:

– «الصدق. أن تجد من تُفضي إليه بما يعتمل في صدرك. وأنتَ على وجه الخصوص، تحتاج إلى عقلٍ منفتح يُنصت لما لديها لتقوله.»

أومأ برأسه إيماءةً شاردة، كأنّ الفكرة لامست ذهنه مرورًا عابرًا:

– «عقلٌ منفتح، أهذا ما تقولينه؟»

هززتُ رأسي في هدوءٍ واثق:

– «أنتَ الملكُ القادم، ولا ريب أنّ لديها في جعبتها من الرؤى والاقتراحات ما يفيض عن الحدّ.»

انفرجت شفتاه عن ضحكةٍ خفيفة، تشي بمزيجٍ من الطرافة والتسليم:

– «لا أشكّ في ذلك.»

ثم استدار نحو الباب، وقد انعطف صوته بنبرة امتنانٍ صادق:

– «شكرًا لكِ، أدينا. لكن لا تظنّي أنّكِ ستتخلّصين مني بهذه السهولة؛ فالغالب أنّني سأعود إليكِ أستمدّ مزيدًا من مشورتكِ.»

اتّسعت ابتسامتي حتى أشرقت على وجهي:

– «وسأكون هنا، ما دمتَ تأذن ببقائي.»

ردّ ابتسامتي بأخرى دافئة، تلوح في طيّاتها بادرةُ وعد:

– «حين أعتلي العرش، قد لا أجد بدًّا من أن أجعلكِ إحدى مستشاراتي.»

الفصل 12

ماكرتر

أطرق الفولاذ منذ أن رأيتها.

لا أعتقد أنني توقفت عن العمل لفترة أطول مما تطلبه ابتلاع بعض الطعام بصعوبة. توجيه كل مشاعري في ضربات جسدية هو الشيء الوحيد الذي يحافظ على سلامة عقلي طوال الأربع وعشرين ساعة الماضية.

لأنني خذلت هيرا. حكمت عليها بالموت. وهذا الذنب يهدد بابتلاعي بالكامل.

كان يجب أن أذهب إليها أولاً، لم يكن ينبغي أن تشتت أدينا انتباهي إلى هذا الحد. لكن جاذبية قوتها كانت مألوفة جدًا، ومريحة جدًا، لدرجة أنني لم أستطع سوى تتبع الإحساس بها. حضورها منوم مغناطيسيًا. لدرجة أنني فوتُ فرصتي لإنقاذ هيرا.

الذنب يجعل مطرقتي تهوي على الفولاذ، مرارًا وتكرارًا. الصوت الإيقاعي يهدهدني إلى حالة من الانفصال عن الواقع، مخدِّرًا أي إحساس بالشعور.

يتوهج المعدن باللون الأحمر.

لم أستطع إنقاذها.

تهوي مطرقتي بقوة.

ستموت شقيقتي في هذه التصفيات.

تلفح موجة من الحرارة وجهي.

لقد خذلت...

يقف شعر مؤخرة عنقي استجابة للإحساس المألوف بها.

أعتدل، مسقطًا أدواتي على الأرض بينما تنمو القوة مع كل ثانية تمر. تنسحب عيناي نحو الباب، مستشعراً كل خطوة تخطوها نحوه.

عندما تطرق، أكاد أضحك.

أفتح الباب بلهفة، لتستقبلني عينان متسعتان وابتسامة خجولة. تمنحني نحو ثلاث ثوانٍ لأحدق فيها قبل أن تلتف ذراعاها حولي، لتعانقني بقوة فاقت ما تخيلت قدرتها عليه.

بعد لحظة، تجد يداي ظهرهما، وأضمها بقوة إلى صدري.

قلت:

– «أنتِ هنا.»

جاء صوتها مكتومًا:

– «فقط لأنك هنا.»

ابتسمتُ لكلماتها:

– «تعلمين أنه يمكنكِ ببساطة المشي عبر الباب، أليس كذلك؟»

– «لم أرد إخافتك.»

أستنشق العطر الحلو لشعرها وأقول:

– «يمكنني استشعاركِ يا حلوة. أعرف دائمًا عندما تكونين قريبة.»

أشعر بهزة كتفيها وهي تقول:

– «صحيح. ما زلتُ أعتاد على ذلك.»

– «وأنا ما زلتُ أعتاد على معرفتكِ بذلك.»

تتراجع مبتعدة، وتنظر إليّ بتلك العينين الواسعتين:

– «ولكن لا يزال هناك الكثير الذي أحتاج إلى معرفته.»

– «أوه، أحقًا؟»

تبتسم بمكر:

– «أجل. ولا يزال دينك لي بليلة_في الحصن قائمًا، أتتذكر؟»

– «لا أتذكر أنني شعرت يومًا برغبة_في ذلك.»

تزفر بضيق، وتدس يدها_في يدي قبل أن تسحبني خارج الباب:

– «لقد اتفقنا يا ماك!»

– «كلمة اتفاق تعني أن الأمر يحمل منفعة متبادلة.»

تمازحني بلا ذرة تعاطف:

– «أوه، كم أنت درامي.»

ننسج طريقنا عبر الشوارع المظلمة، جنبًا إلى جنب. تستقر قريبة من جانبي، غافلة بسعادة واضحة عن محيطها عندما تكون_في حضرتي. أوجهنا عبر الظلال، مانحًا إياها رفاهية النظر إلى أي مكان عدا أمامها.

بعد أن وجهتها من كتفيها للمرة الثانية، تنظر لأعلى فجأة لتقول:

– «شكرًا لك. لمغادرتك الليلة الماضية.»

أومئ برأسي قليلاً عند التذكير بما لم أفعله. تلاحظ ذلك، فتضيف:

– «هل أنت بخير؟»

أتأمل هذا للحظة طويلة:

– «لم أكن كذلك أبدًا.»

تهمس:

– «أنا آسفة لأنك لم تستطع إنقاذها. لكنك فعلت كل ما بوسعك.»

– «ليس كل شيء.»

تعبس ناظرة إليّ:

– «الحفل يقام في هذه اللحظة، وبعد ذلك، ستخضع هيرا للحراسة حتى موعد التصفية. أن يتم القبض عليك لم يكن لينفع أحدًا.»

أهز كتفي:

– «لكنه بالتأكيد كان سيسرع من النهاية الحتمية.»

تنفخ الهواء بضيق:

– «لن يتم القبض عليك. هناك عدد قليل جدًا من الناس يعرفون حقيقتك، ولحسن حظك، أنا رائعة في حفظ الأسرار.»

تنقر بإصبعها على شفتيها الممتلئتين وتضيف:

– «وما الذي يجعلك متأكدًا إلى هذا الحد من أن هيرا لا تستطيع النجاة من هذه التصفيات؟ إنها مُخفية (فيل)، بعد كل شيء.»

تمنحني أدينا ابتسامة متعاطفة:

– «ربما لا تحتاج إلى من ينقذها.»

أومئ برأسي بتبلد، متذكرًا كل السنوات التي نجت فيها هيرا في العشوائيات. ربما قللتُ من شأنها. وربما هذا بالضبط ما ستقوله لي على الجانب الآخر من هذه التصفيات.

أجبتُ بصوت مبحوح:

– «آمل أن تكوني محقة.»

يمتد الصمت بيننا حتى لم تعد قادرة على تحمل غياب المحادثة:

– «ربما ليس هذا هو الوقت المناسب للسؤال – بل إنه بالتأكيد ليس كذلك – لكن كيف أبلى زي الإمبراطوريين؟ هل أثار أي شكوك من الحراس الآخرين؟»

أهز رأسي:

– «بالكاد ألقوا نظرة عليّ. بعد المشي لما يقرب من ساعة ونصف للوصول إلى القلعة، واصلتُ طريقي مباشرة عبر المدخل الأقرب إلى حلبة ‹الصحن›. وكأنني كنتُ عائدًا للتو من دورية.»

أستطيع رؤية الابتسامة التي تحاول إخفاءها:

– «حسنًا، يسعدني أن عملي كان مقنعًا.»

أتنهد:

– «نعم، لقد كان مثاليًا. وكل ذلك هباء. أنا آسف لأنني أهدرتُ وقتكِ.»

تبتسم برقة:

– «كنتُ معك. كيف يمكن أن يكون ذلك إهدارًا للوقت؟»

لا يتسنى لي الرد قبل أن تسحبني حول أحد المنعطفات، لتقودنا نحو طريق مسدود.

تهتف بحماس مفرط عند رؤية زقاق مظلم:

– «ها نحن ذا! لا شيء يعادل دفء الوطن!»

مقتربًا أكثر، ألمح كومة متنوعة من الأشياء، مكدسة معًا لتكوين حاجز ضد الجدار. يبلغ ارتفاعها حوالي ثلاثة أقدام وتستقر فوق عدة سجادات وبطانيات رثة.

أقول ببطء:

– «هنا، تنامين؟»

– «أجل! هذا جانب بيدن.»

تشير إلى الجانب الأيسر من سجادة بالية:

– «مما يجعل هذا النصف جانبي بالطبع.»

بعد اختراق حاجز القمامة، تسقط نفسها على المنطقة المخصصة لها من السجادة.

– «هذا المكان محجوز لـ بيدن، لكنني سأستثني هذه الليلة.»

أغمغم، محاولاً ببطء استجماع قوتي للجلوس على السجادة القذرة:

– «أوه، يا لحظي. بحق الطاعون، هذا المكان مزبلة.»

تضرب معدتي بظهر يدها:

– «مهلًا! إنه بيتي.»

– «حسنًا، بيتك مزبلة.»

ترمقني بنظرة حادة:

– «ليس عليك أن تكون وقحًا.»

أسأل بصدق شديد:

– «هل تعرفينني حقًا؟»

– «أجل. وأعتقد أنك ألطف مما تتظاهر به.»

لو لم تكن إجابتها تحمل نفس القدر من الصدق، لكنت ضحكت. فسألتها مجدداً:

– «وما الذي يجعلكِ تظنين ذلك؟»

بدت فجأة خجولة ومترددة بعض الشيء، ثم قالت:

– «أنت الشخص الوحيد الذي أراد شراء قميصي الأزرق.»

عادت اعترافاتي لتطاردني، وكأنها صدرت مني منذ زمن بعيد وليس قبل بضع ساعات فقط. كنت مركزاً جداً على مصير هيرا لدرجة أن فيض قلبي الخافت لم يخطر ببالي حتى الآن. ولكن بعد أن تذكرت، شعرت بالارتباك عند رؤيتها، وتذكرت كل كلمة تفوهت بها.

سألتني بهدوء:

– «هل ما زلت تريده؟»

أومأت ببطء دون أن أحيد بنظري عن عينيها:

– «فقط إذا سمحتِ لي بإخبارك بشيء في مقابل صفقتي.»

تنفست الكلمة وهي تقاوم ابتسامة:

– «اتفقنا.»

أدخلت يدي في جيبي وسحبت شلناً واحداً وقدمته لها. حدقت فيه وقالت:

– «كنت أبيعه بثلاثة.»

مَطَطتُ الكلمة قائلاً:

– «نعم، وكيف كانت تسير مبيعاتكِ بهذا السعر؟»

عقدت ذراعيها:

– «ثلاثة.»

قلت:

– «لم أكن أدرك أنكِ في وضع يسمح لكِ بالتفاوض.»

عدلت السعر قائلة:

– «اثنان. وابتسامة.»

تظاهرت بالتفكير في العرض، وأملت رأسي يميناً ويساراً:

– «هذا الثمن باهظ بعض الشيء يا حلوتي.»

تنهدت:

– «فقط الابتسامة إذن.»

– «هذا هو الجزء الباهظ الذي كنت أتحدث عنه.»

كانت كلماتها رقيقة، وكأنها تتحدث إلى حيوان مذعور. وفي الواقع، كانت تلك مقارنة عادلة.

سألتني:

– «هل ستخبرني؟ عنك؟ عن سبب رفضك أن تبتسم لي؟»

غيرت وضعيتي لأستند إلى الجدار، وأسدلت ذراعي على ركبتي المثنيتين:

– «الأمر ليس شخصياً يا دينا. إنه مجرد شيء توقفت عن فعله في اليوم الذي هربت فيه أنا وهيرا من المنزل.»

رفعت حاجبيها في تشجيع صامت لأكمل، فزفرت بنفاد صبر وقلت:

– «حسناً، لكنني سأحصل على هذا القميص اللعين مجاناً إذن.»

توقفت لحظة لأجمع شتات أفكاري قبل أن أتابع:

– «لقد نشأت في الجانب الآخر من العشوائيات. والداي كانا – بل لا يزالان – مثالاً حياً للعاديين الفقراء. بالكاد كانا قادرين على إطعام أنفسهما، ناهيك عن إطعام أطفال. وباختصار دون الخوض في التفاصيل الخاصة، أنجباني دون تخطيط.

هززت كتفي وكأن الأمر لم يترك أثراً على ما أصبحت عليه اليوم وأضفت:

– «لم تكن طفولة سعيدة حقاً. لم يرغبا في إنجاب طفل ولم ينويا أبداً إطعام فم آخر. لكنني كنت هناك، مجبراً إياهما على لعب دور الأبوين على مضض.»

كانت تستمع بإنصات شديد، مائلة رأسها، وعيناها متسعتان، ومرفقاها على ركبتيها ووجهها بين كفيها. كان الموقف محبباً إلى حد ما. رائعاً في أحسن الأحوال.

تنهدت وتابعت:

– «ككل أطفال النخبة، لم أكن قادراً على التحكم في قدراتي، ولكن بما أن والدتي كانت متبصرة ووالدي مخادعاً (بلاف)، ظنا أنني مجرد عادي آخر يزيد العشوائيات ازدحاماً. حسناً، حتى كبرت بما يكفي لأستمد قواي من القدرات الجسدية للمحيطين بي. كدت أشعل النار في كوخنا عندما كنت في الخامسة من عمري. جعل هذا والديّ يعتقدان أن قدراتي تأخرت في الظهور، وأنني مشتعل (بليزر) على أي حال. وذلك حتى بدأت في الزحف على الجدران في غضون الساعة نفسها.»

نظرت إليها بطرف عيني، ورأيت تعبير دهشة درامياً على وجهها. لو كان شخصاً آخر، لظننت أنه يسخر مني. لكنها أدينا، وهذه النظرة معتدلة مقارنة بتلك التي ترمق بها كعكات العسل اللزجة.

شجعتني بإيماءة من يدها قائلة:

– «وماذا بعد؟»

كان صوتي باهتاً، محاولاً إخفاء المرارة التي تلتصق بكل كلمة:

– «ثم بدأا في اكتشاف حقيقتي. لم يعرفا ماذا يفعلان بي. أبقياني محبوساً داخل كوخنا الصغير. كانت هيرا أول شخص أتذكر رؤيته غير والديّ. ظهرت على عتبة بابنا عندما كنت في السابعة، وسرعان ما أصبحنا متلازمين، إذ لم يكن لدينا أحد غيرنا.»

لم ألاحظ أن إبهامي كان يتتبع طول تلك الندبة التي تشق شفتي حتى التقطت نظراتها تتابع حركتي.

تابعت:

– «كلما كبرت، بدأت أفهم سبب منعي من الخروج. كنت لا أزال أتعلم كيفية السيطرة على قدراتي، وكوني مستحوذاً (ويلدر) يعني الموت المحتم. كنت – ولا أزال – تهديداً لـ الملك بسبب قوة لم أطلبها. كان والداي يعرفان ذلك، وكان من الواضح أنني غير مرغوب فيه. وخاصة من قبل والدي.»

نظرت إلى أدينا، أملاً في إيجاد سبب لإنهاء هذه المحادثة، لكنني لم أجد سوى القلق في نظرتها العسلية. لم أجد سوى الرقة توجه يدها نحو ركبتي، لتسرب الراحة من كل إصبع مفرود.

ابتلعت ريقي بصعوبة، وحاولت ألا أتلعثم في كلماتي من فرط تسرعي في إخراجها من فمي:

– «كان يظن أنني عديم الفائدة – وأخبرني بذلك صراحة. لم أستطع العمل معه في المتجر، ولم أستطع مغادرة المنزل خوفاً من أن يُكتشف أمري. كنت عبئاً. إزعاجاً. خيبة أمل.»

قالت أدينا بصوت خافت وهي تهز رأسها بحزم:

– «أنت لست كذلك.»

أومأت برأسي وعيناي تتأملان السماء فوقنا وقلت:

– «بلى، كنت كذلك. كل ما في الأمر أنني لم أكن محظوظاً بما يكفي لأُحَب رغم ذلك.»

عندما التقت عيناي بعينيها، ندمت على كل كلمة تفوهت بها. وكأن كل كلمة قد أطفأت بريق عينيها، وخنقت ابتسامتها لتحيلها إلى كآبة لا تليق بشفتيها. لم أتخيل أبداً أنها يمكن أن تبدو بهذا التجهم. وأكره أنني السبب في ذلك.

لكنني كنت أعلم أنها لن تسمح لي بالتوقف الآن، فأخذت نفساً عميقاً وتابعت:

– «كانت هيرا معي. كان والداي يتسامحان معها أكثر مني، نظراً لأنها كانت تجني المال من تقديم عروض السحر في الشوارع بصفتها مُخفية (فيل)، لكن الأمور ساءت أكثر كلما كبرنا. بدأ والدي في الشرب بكثرة، ولم تفعل والدتي شيئاً لإيقافه. وعندها بدأت أتعلم كيف أدافع عن نفسي.»

مررت يدي في شعري، وهززت رأسي وأنا أسترجع سيل الذكريات الذي بدأ يطفو على السطح:

– «كان يعود إلى المنزل متأخراً من المتجر، وأحياناً يحضر معه الأسلحة التي صنعها في ذلك اليوم. كان يصرخ؛ ووالدتي تختبئ. وكنت أنا أتلقى الجزء الأكبر من غضبه، أحمي هيرا ووالدتي عندما يصل الأمر إلى ذلك. كان غاضباً مني. أنا الذي كنت عديم الفائدة بالنسبة له.»

غطت يدها فمها، مخفية نصف وجهها المصدوم وهي تسأل:

– «هل هذا هو سبب هروبك؟»

اقتربت مني، ويدها لا تزال تعتصر ركبتي بتعاطف.

فأجبتها:

– «نعم ولا. كنت في الرابعة عشرة من عمري عندما انهارت حياتي البائسة رسمياً. كانت الليلة التي حدث فيها ذلك كالمعتاد. عاد والدي إلى المنزل مخموراً، ومستعداً لافتعال شجار. دخل الغرفة ليجدني وهيرا نضحك

على شيء قاله أحدنا. عندها رأيت وميض سيف في يده. كنت قد رأيته يحمل أسلحة من قبل، ولكن لا شيء بهذا القدر من الحدة والفتك.

أخفيت هيرا خلفي كما كنت أفعل دائماً، وتلفتت باحثاً عن أم لم تكن يوماً هناك. لكن لم يكن السيف هو أكثر ما أرعبني، بل كلمات والدي.»

ابتلعت غصة وتابعت:

– «لن أنسى أبداً ما قاله لي تلك الليلة. قال إنني سأكون أكثر نفعاً له لو سلموني فقط للملك. لو كانوا قد باعوني بدلاً من تحمُّلي طوال هذه السنوات. ثم...»

رمشت محاولاً إبعاد المشاعر التي بدأت تتراكم، وكارهاً لها، واصلت بصوت صارم:

– «ثم هدد بفعل ذلك حقاً. قال إنه سيبيعني للملك مقابل الشلنات التي يستحقها، وأنه كان يجب عليه فعل ذلك منذ سنوات.»

كان صوت أدينا بالكاد مسموعاً وسط أنفاسي المرتجفة:

– «ماك...»

أصبح صوتي أضعف مع كل كلمة تتسرب من ماضيّ لتطارد حاضري:

– «لم أكن أستحق الابتسام. هذا ما قاله لي. لا أتذكر السيف وهو يتأرجح نحوي، فقط صوته عندما وعد بمسح تلك الابتسامة من وجهي.»

تتبع إبهامي الندبة التي تشق شفتي برعشة خفيفة.

– «هربنا أنا وهيرا بعد أن جرحني. لم... لم أكن أعرف ماذا سيفعل بها، ولم أستطع البقاء لمعرفة ما إذا كان سيفي بوعده ببيعي للملك.»

لم أستطع النظر إليها بعد ما قلته، فأضفت متجنباً نظرتها الحزينة:

– «بقينا أنا وهيرا على قيد الحياة في العشوائيات لعدة سنوات قبل أن نتمكن من تحمل تكلفة سقف حقيقي يأوينا. أجبرت نفسي على السيطرة على القوة الغامرة. وتعلمت أن أختبئ في العلن. ثم أصبحت حداداً، فقط لإغاظة والدي. لذا، فقد خرجت بشيء جيد من كل هذا.»

أغمضت عيني بقوة عندما لامست أصابعها ذقني. أدارت وجهي نحوها رغم مقاومتي. كانت راحة يدها ناعمة على خدي، تبعث على راحة غريبة. ولكن عندما لامس إبهامها ندبتي، التقت عيناي بعينيها أخيراً.

همست والدموع تتشبث برموشها الداكنة:

– «لقد سرق ابتسامتك. لا عجب أنك لم تملك واحدة لتهديني إياها.»

عاد الندم ليضربني من جديد، فكلماتها تذكرني بكل فرصة ضاعت لكي أجعلها تبتسم بابتسامة مني.

فهمهمت:

– «سأجد واحدة. سأستعيدها منه إذا لزم الأمر. من أجلكِ.»

ارتفعت شفتاها، وعيناها تلمعان بالدموع:

– «وسأحتفظ بها غالية.»

كان إبهامها دافئاً على بشرتي وهو يواصل تتبع الندبة، ليخلق ذكريات جديدة أربطها بها. وبعد صمت طويل، سمحت لنفسها بسؤال هادئ:

– «أين هما الآن؟ والداك؟»

هززت كتفي قليلاً وكأنني لا أفكر في الأمر يومياً وأجبت:

– «لست متأكداً. ربما في نفس المنزل على الجانب الآخر من العشوائيات. لكنني اختبأت منهما لسنوات، وأخفيت نفسي وسط الجماهير. ولست ميتاً بعد، لذا افترضت أن والدي لم يصل للملك أبداً.»

أصدرت صوتاً ساخراً وأضفت:

– «لابد أنهما راضيان تماماً بغيابي.»

أومأت ببطء، مستوعبة كلماتي قبل أن تصرح بنفسها:

– «أنت أبعد ما تكون عن كونك عديم الفائدة. أنت قوي وذكي ويمكنك حقاً أن ترتدي الزي الإمبراطوري ببراعة. بأفضل طريقة ممكنة.»

كانت عيناها تشتعلان بالحماس حتى مع إبهامها الذي لا يزال يضغط على شفتي:

– «ولا أحد يستطيع أن يسلبك ابتسامتك. إنها ملكك لتهديها يا ماك.»

أمسكت معصمها، وسحبته بلطف للأسفل بما يكفي لأتمكن من التحدث:

– «ماكوتو.»

رمشت بعينيها متسائلة:

– «مـ-ماذا؟»

تمتمت:

– «ماكوتو.»

أصدرت صوتاً خافتاً عندما جذبتها نحوي بالمعصم الذي ما زلت أمسكه وبيد أخرى خلف ركبتها.

– «اسمي ماكوتو خيتان.»

اتسعت عيناها، واقتربت مني أكثر من أي وقت مضى.

– «الآن يمكنك توبيخي كما يجب.»

سمعتها تبتلع ريقها وهي تسأل:

– «وماذا يجب أن أعرف عنك أيضاً يا ماكوتو؟»

أملت رأسي وكأنني أهز كتفي قائلاً:

– «قد يكون هذا صادماً لكِ، لكن يمكنني أن أكون... فظاً بعض الشيء في بعض الأحيان.»

ابتسمت مشجعة:

– «الوعي بالذات هو الخطوة الأولى للتغيير.»

تنهدت وقلت:

– «أوه، لا أنوي التغيير. كنت فقط أتأكد من أنكِ تعلمين أن هذا أمر متكرر. الآن، ماذا أيضاً؟ لم أتمكن أبداً من التخطي بشكل صحيح، ولست متأكداً من سبب ذلك أو سبب شعوري بالحرج من هذه الحقيقة. أوه، ولست

من محبي الملاعق، فقط الشوك. أستمتع بالفجل أكثر من الشخص العادي. ولم أكن بارعاً جداً في استخدام القوس.»

راقبت ردود أفعالها على كلماتي – كيف تبدأ في عينيها قبل أن تنتشر إلى بقية وجهها. فقالت:

– «أكمل. أعلم أن هناك المزيد.»

انتقلت عيناي بين عينيها وقلت:

– «آسف يا حلوتي. حان دورك. سأحتاج إلى بعض التفاصيل في المقابل.»

ابتسمت، ببريق لا يقاوم وقالت:

– «أوه، حسناً، قد يستغرق ذلك بعض الوقت.»

رفعت حاجبيّ:

– «هل تعتقدين حقاً أنني كنت سأحصل على أي قسط من النوم هنا؟ لا، لدي النية الكاملة للتحدث عنك حتى الصباح.»

ثم أخذت نفساً بطيئاً، سامحاً لنفسي بشيء لم تكن لدي أي رغبة في فعله قبل أن ألتقي بها.

وبشكل مرعب، جاء الأمر بسهولة.

ابتسمت.

الفصل 13

أدينا

قلت بنبرة تحذيرية مغناة وأنا أبتسم لهيئتها المنحنية:

– «لن تسعد بيدن أبداً برؤيتكِ تنظفين حوض الاستحمام هكذا.»

التفتت إيلي، التي رفعت شعرها البني في عقدة، نحوي بسرعة جعلت بعض الخصلات المتطايرة تداعب عينيها، وقالت:

– «إذن، لا داعي لأن تعرف بذلك أبداً.»

عقدتُ ذراعيّ، ونظرتُ إليها من أعلى أنفي بمشاكسة سائلة:

– «وهل تثقين بي لدرجة ألا أخبرها؟»

رفعت إيلي إسفنجتها التي تقطر ماءً، موجهة طرفها الباهت نحوي. وابتسمت برقة قائلة:

– «إذا سقطتُ، ستسقطين معي. علاوة على ذلك، أنا خادمتها. وهذا هو صميم عملي.»

تنهدتُ، وأسندتُ ظهري إلى إطار باب الحمام. كانت غرفة بيدن بأكملها نظيفة خالية من أي شائبة، نظراً لغيابها منذ ما يقرب من أسبوع كامل في التصفية الأولى. كان الأمر برمته مثيراً للأعصاب، ولم ترق لي قط فكرة وجود بيدن في هذه التصفيات الخاصة. فيكفينا ما نكابده للبقاء على قيد الحياة في الأيام العادية.

إزاء هذه الفكرة الكئيبة، أعدتُ انتباهي إلى إيلي التي كانت تفرك قاع الحوض بصوت مسموع، وسألتها:

– «ألديكِ أية أفكار لفستانها القادم؟ لم يتبقَ على الحفلة الراقصة الثانية سوى أسبوع واحد.»

اضطرت لرفع صوتها ليغطي على صوت الماء الجاري:

– «ليس تماماً. مَن يدري أي لون ستطلبه تالياً؟»

قلتُ بثقة، وكأنني على يقين تام بأنها ستعود حية تُرزق اليوم:

– «حسناً، سأضطر إذن إلى الانتظار حتى تخبرني بنفسها. لأنه سيكون من الصعب التفوق على الفستان الفضي. أوه، لقد بدت مذهلة حقاً بتلك الأكمام المتدلية والتنورة المشقوقة...»

اختلست إيلي النظر إليّ، وضغطت على شفتيها بابتسامة ذات مغزى قائلة:

– «وأنتِ لم يتسنَّ لكِ حتى رؤيتها وهي تخطف الأنظار في الحفلة.»

قلتُ بارتباك:

– «حسنًا، لقد كنت هناك لمساعدتها على التجهز وتمني التوفيق لها، بالطبع...»

كانت ابتسامة إيلي شديدة المكر مقارنة بملامحها الرقيقة وهي ترد:

– «صحيح. لأنكِ كنتِ مشغولة برؤية فتاكِ.»

وبختها رغم الابتسامة التي بدأت تتشكل على شفتيّ:

– «إنه ليس... إنه ليس فتاي يا إيلي. وأنا لا أندم قَط على تسللي خلسة. أخذتُه إلى الحصن، وتحدثنا لساعات عن أدق التفاصيل.»

شعرت بوجنتيّ تشتعلان عند تذكر ذلك، وتابعت:

– «أخبرني أنه كان يمتلك كلباً في طفولته. حسناً، كان كلباً ضالاً يأتيه زائراً، لكن أليس هذا لطيفاً؟ لقد عرفت كل شيء عن أشيائه المفضلة، وكيف

يفضل التفاح الأخضر على الأحمر... أوه! وقال إن شعري – وأنا أقتبس هنا – شديد الحيوية.»

تهلل وجهي، وأجبرت نفسي على التقاط أنفاسي:

– «على أية حال، لقد رأيته كل يوم تقريباً منذ ذلك الحين. أحياناً نلتقي في منتصف الطريق، أو أغادر مبكراً في المساء لأصل إلى العشوائيات قبل حلول الظلام. يبدو أنه لا أحد يهتم بوجهتي، طالما أنني أعود في الوقت المناسب لصنع فستان بيدن.»

تركتني إيلي أُنهي صيحتي الحماسية قبل أن تقول:

– «واو، أنتِ حقاً تقعين في حبه.»

جمّدتُ قدميّ الراقصتين عند سماع كلماتها. الوقوع ليس من شيمي. لا، أنا أتعثر في الحب، غير قادرة على التمهل لفترة كافية لأتساءل عن طبيعة هذه المشاعر أو عن الشخص الذي أغدقتها عليه. لكنني أُعجبتُ بفتيان في الماضي، ولا شيء يقارن بمدى سهولة تعثري في هذا الفتى.

سألت:

– «هل أخبرتِ بيدن؟»

رمشتُ، وأفقتُ من شرودي:

– «همم؟»

ضيقت إيلي عينيها قليلاً:

– «أنتِ لم تخبريها، أليس كذلك؟»

زفرتُ الهواء، وجلستُ متربعة على الأرضية النظيفة بجوارها، والتي أظن أنها قامت بفركها قبل وصولي.

– «لا، لم أفعل. لكنني سأفعل! ليس... الآن.»

عبثتُ بأصابعي، غارقة في المعضلة ذاتها التي لازمتني منذ لم شملي مع بيدن. وتابعت:

– «لديها الكثير لتتعامل معه في الوقت الحالي، وتحتاج إلى إبقاء تركيزها منصباً على التصفيات. لا أريد لحياتي العاطفية أن تشتتها. لأنكِ، صدقيني، لن تتوقف بيدن حتى تلتقي بـ ماك وتعطيه موافقتها.»

هززت رأسي وقد حسمت أمري:

– «لا، لا يمكنني أن أجعلها تفقد تركيزها أو تقلق بشأن أي شيء يخصني بينما حياتها هي ما على المحك.»

صمتت إيلي للحظة طويلة قبل أن تومئ ببطء:

– «لن تسعد أبداً بإبقائها في الظلام هكذا.»

ابتسمتُ، ابتسامة صغيرة ومشاكسة، وأنا أومئ نحو حوض الاستحمام:

– «وينطبق الشيء ذاته على تنظيفكِ، يا عزيزتي إيلي.»

وقبل أن تتمكن من رشّي بالماء، هرعتُ خارج الغرفة صائحة:

– «سأعود قريباً! أنا ذاهبة للقاء فتاي!»

كان من الصعب ألا أقفز مرحاً عبر الردهة من فرط الحماس. بالكاد أستطيع احتواء لهفتي لـ...

كدتُ أصطدم بشخصية ضخمة تلتف حول الزاوية.

وفي خضم اعتذاراتي المتلعثمة، صعدت عيناي لتلتقيا بعينين خضراوين تثقباننني بنظراتهما. رمشتُ، مذعورة مما فعلته للتو، وانحنيتُ بسرعة في تحية رسمية.

وصرختُ بصوت رفيع:

– «جلالتك! أنا آسفة للغاية! يجب حقاً أن أتعلم الانتباه لخطواتي، خاصة في قلعة مزدحمة كهذه حيث...»

أخرست يد ضخمة مرفوعة بقية الكلمات في حلقي. انتقلت عيناي من الكف التي تحوم أمام وجهي إلى الرجل الواقف خلفها.

كان كل شيء في الملك ضخماً ومهيباً. كان أطول مني بأكثر من قدم، ونظراته الثاقبة بدت وكأنها قادرة على شطري نصفين. ابتلعتُ ريقي، ووقفت

أمامه بينما اجتاحتني نظراته الفاحصة، متوقفة عند شعري الفوضوي وملابسي المجعدة.

وعندما سقطت يده المُسكتة أخيراً، شعرتُ بالتعري أمامه بشكل غريب.

سأل بصوت عميق أبعد ما يكون عن الراحة:

– «ومن تكونين أنتِ؟»

غيرتُ وقفتي، محاولةً أن أبدو مرتاحة وأنا أجيب:

– «أنا أدينا، يا صاحب الجلالة. يا له من شرف أن ألتقي بك!»

كانت الابتسامة التي رمقني بها تهديدية في أحسن أحوالها:

– «دعينا لا نكذب على ملكك يا أدينا. من المرجح أنني آخر شخص تودين رؤيته، نظراً لكونكِ في عجلة من أمركِ للعثور على شخص آخر.»

انفتح فمي وانغلق عدة مرات قبل أن تبدأ الكلمات في التدافع:

– «أوه، حسناً، لدي فقط الكثير من العمل لأنجزه قبل الحفلة الراقصة القادمة، وكنت آمل في البدء مبكراً. كما تعلم، اختيار القماش وحساب المقاسات...»

ارتفعت يده مرة أخرى، وقال بهدوء:

– «لم أركِ من قبل. لماذا أنتِ هنا؟»

قلتُ بأقصى ما يمكنني استدعاؤه من بهجة:

– «أوه، أنا خياطة بيدن. لقد أرسلت في طلبي لأنني أصبحتُ ماهرة جداً في صنع الملابس لها على مر السنين.»

تأمل كلامي بعينين مضيقتين وقال:

– «أفهم من هذا أنكِ مقربة من بيدن؟»

ابتسمتُ، شاعرة بالارتياح للحديث عن شيء يبعث على الطمأنينة:

– «نعم، جداً. لقد عشنا في العشوائيات معاً لسنوات. لذا، فليس من المستغرب أننا أعز الأصدقاء!»

همهم قائلاً:

– «فهمت. لابد أنها سعيدة جداً بوجودكِ هنا معها.»

أومأت برأسي:

– «أوه، نعم، كلتانا كذلك!»

قال بنبرة باهتة، وكأنه كان يأمل في نتيجة مختلفة تماماً:

– «حسناً، سيسعدكِ أن تعرفي أنها نجت من هذه التصفية الأولى.»

قمعتُ تنهيدة الارتياح، وقلت:

– «بالطبع فعلت! لا أتوقع أقل من ذلك من بيدن.»

كررها بهدوء، رافعاً زاوية فمه بتلك الطريقة المثيرة للأعصاب:

– «بيدن... كم هذا لطيف.»

بذلت قصارى جهدي لإبقاء الابتسامة على وجهي، حتى وأنا أبدل وقفتي بعدم ارتياح. كنت على وشك محاولة الانحناء السريع والهروب الخاطف عندما تنهد قائلاً:

– «نعم، كم هو محظوظ ألا تكون بيدن من بين الضحايا في هذه التصفية.»

رمشتُ، وسألت:

– «أمم، إن لم تمانع سؤالي – يا صاحب الجلالة – مَن كانوا الضحايا؟»

هز كتفيه قليلاً، وكأن هذه الوفيات لا تعني له الكثير، وأجاب:

– «سِيدي – يا للأسف. أنا مقرب من والدها. أوه، والفتاة المُخفية (فيل) من العشوائيات، رغم أن ذلك لم يكن مفاجئاً...»

تلاشى صوته، وصار مكتوماً بينما بدأ طنين في أذنيّ. تسمرت عيناي على الجدار خلفه، وتغيمت رؤيتي بينما أثقلتني فداحة كلماته.

هيرا ماتت.

لم أستطع التفكير إلا في ماك. في الذنب الذي سيعتلي وجهه عندما يكتشف الأمر، وفي العذاب الذي سيشوب صوته مع كل كلمة تلي ذلك.

قلتُ بصوت مرتجف:

– «يا له من أمر فظيع. يؤسفني جداً سماع ذلك.»

كان صوته مبتهجاً بشكل مخيف وهو يقول:

– «هكذا هي التصفيات.»

وعندما لم يضف شيئاً آخر، انحنيتُ بركبتين مرتعشتين، وقلت:

– «كان شرفاً لي أن ألتقي بك، يا صاحب الجلالة.»

تحركتُ لأهرع متجاوزة إياه، وجفلتُ عندما لاحقني صوته المدوي في الردهة:

– «أوه، أنا متأكد من أننا سنلتقي مجدداً يا أدينا.»

كان ضوء أواخر الظهيرة يصبغ ‹حي النشّالين› بتوهج دافئ بحلول الوقت الذي وطأت فيه قدماي الشارع المزدحم. كنت لأركض طوال الطريق إلى هنا لولا افتقاري للياقة البدنية الذي جعل ذلك صعباً. لكنني سلكتُ المسار المؤدي إلى حلبة ‹الصحن› بعجلة تفوق المعتاد بكثير.

كان الشارع يغص بالزبائن المتصايحين والأطفال الصاخبين. شققتُ طريقي بأقصى قدر ممكن من التهذيب، وعيناي مسلطتان على المبنى المتداعي الذي يأوي متجره ومنزله.

لست متأكدة كيف وصلتُ إلى بابه المهيب، لكنني وجدت نفسي فجأة واقفة أمامه.

رفعتُ يدي لأطرق و...

وإذا بالباب ينفتح على مصراعيه.

تسمرتُ في مكاني عند رؤيته.

كان يقف هناك، بعينين زجاجيتين تفيضان بشعور بالذنب يخبرني أنه يعلم بالفعل سبب قدومي.

همس بصوت ضعيف:

– «شعرتُ بقدومكِ.»

انزلقت عيناي إلى الورقة المجعدة المقبوض عليها في يده، والتقطت الحروف المألوفة المخطوطة عليها.

منشور للتصفيات.

يا لها من طريقة مروعة لمعرفة الأمر.

ترقرقت الدموع في عينيّ وأنا أخطو نحوه قائلة:

– «أوه، ماك...»

انهار تماسكه قبل أن ينهار جسده فجأة بين ذراعيّ.

سقط متكئاً عليّ، وكتفاه تهتزان بينما لففت ذراعيّ بقوة حوله. رفرف المنشور الذي يعلن وفاة هيرا ليسقط على الأرض، منسياً في موجة المشاعر التي هددت بإغراقه. ارتجف جسده ضد جسدي، وتدلت أطرافه بوهن حولي.

أخرج الكلمات بصعوبة مختنقاً:

– «لقد رحلت. لقد رحلت، وكل هذا خطئي.»

همستُ وأنا أشهق بالبكاء:

– «لا، ليس كذلك. إياك أن تظن أن هذا خطؤك.»

عصفت النحيب بجسده، لتهز كلينا حيث نقف في المدخل. قبضت ذراعاه على خصري، متشبثاً بي طلباً للدعم، وقال:

– «كان يجب أن أكون أنا. كان يجب أن أكون أنا.»

قلتُ وأنا أمرر يدي على مؤخرة شعره، شاعرة بالدموع الساخنة تنزلق من عينيّ:

– «صه. سيكون كل شيء على ما يرام.»

همس بصوت يشبه اعترافاً بالذنب:

– «دينا. كان يجب أن أكون أنا. أتمنى لو كنتُ أنا.»

قلتُ وأنا أعانقه بقوة أكبر، شاعرة بجسده يرتجف مع كل نفس:

– «لا تقل ذلك. أنا أحتاجك.»

غمغم دافناً وجهه في شعري:

– «لا تفعلي. سأخيب ظنكِ وحسب.»

الفصل 14

أدينا

على مدار الأيام القليلة التالية، كان هدفي الشخصي هو رؤية ماك يبتسم.

بالتأكيد، هذه المهمة ليست لضعاف القلوب. لكنها مجزية بطريقة تجعلني أبحث عن أي علامة ولو لابتسامة خافتة.

وهذا ما قادنا إلى نشاط الليلة.

قال:

– «هذا هراء.»

وهناك شخص ليس متحمساً جداً للأمر.

قلت، كاتمة ضحكتي بيدي قبل أن أستجمع قدراً كافياً من الرصانة لأكمل:

– «واو، أنت لم تكن تمزح. لا يمكنك التخطي حقاً.»

زفر بغضب متجهاً نحو بابه ليهجر الزقاق الذي نتدرب فيه:

– «لقد انتهيت. لقد عشت كل هذه المدة دون أن أكون قادراً على فعله.»

طاردتهُ، ممسكة بذراعه لأبطئ من سرعته، وقلت:

– «هيا! القليل من التدريب وستتقنه. سيصرف هذا تفكيرك عن الأشياء المزعجة.»

استدار بوجه يحمل نظرة اتهام:

– «هل احتجتِ أنتِ إلى التدريب؟»

أجبت:

– «حسناً... لا، لكن...»

هز رأسه قائلاً:

– «أرأيتِ؟ أنتِ موهوبة بالفطرة في هذا الهراء السعيد والبناتي. أما أنا – ورغم أن الأمر قد يبدو صادماً – فلست كذلك.»

خفضتُ صوتي، مجبرة إياه على أن يبدو خشناً، وقلت:

– «صحيح، أنت فقط تتجهم بخشونة بخناجرك الحادة وافتقارك للابتسامات.»

عقد ذراعيه فوق صدره:

– «أوه، هل أبدو هكذا حقاً؟»

ابتسمتُ:

– «وهكذا يبدو صوتك. نوعاً ما.»

رمقني بتلك الابتسامة الساخرة، رغم أن عينيه كانتا لا تزالان معتمتين بحزن فقدان هيرا:

– «حسناً. وأنتِ مجرد ضحكات وسعادة دائمة بأشرطتك وأشيائكِ... المزركشة الأخرى.»

أومأت ببطء، وخطوت نحوه:

– «وهل يعجبك هذا فيّ؟»

لم يحتج إلى لحظة للتفكير:

– «من بين أشياء أخرى عديدة.»

قلتُ ببساطة، واضعة يدي على خصري:

– «جيد. لأنني لن أتغير. أنا أحب أشيائي البنّاتية المزركشة.»

– «أوه، أعلم.»

بدأت:

– «أرأيت؟ أنا...»

أكمل عني:

– «عاشقة ولستِ مقاتلة.»

تهلل وجهي:

– «بالضبط. ولهذا السبب كان لَكْم ذلك الرجل في وجهه قبل فترة هو آخر شيء تمنيت فعله على الإطلاق.»

هز ماك كتفيه:

– «لقد نال ما يستحقه. وأنتِ كنتِ بحاجة إلى التدريب.»

تدفقت تلك اللحظة عائدة إليّ بعد أن طمرتها صدمة كل ما حدث لاحقاً. عين الرجل السوداء وخوفه الواضح عند رؤية ماك. الألم الذي اجتاح ذراعي عندما اصطدمت قبضتي بوجهه – وهو شعور لا أتمنى تجربته مرة أخرى أبداً.

ولكن عندما تذكرت فجأة كلمات ماك لذلك الرجل، دفعني فضولي للسؤال مرة أخرى:

– «بالحديث عن ذلك اليوم، كيف عرفت أن ذلك الرجل كان يكذب عندما قال إنه لم يتعرف عليّ؟»

زفر الهواء قائلاً:

– «دينا، لقد ناقشنا هذا بالفعل. أنا فقط أعرف.»

ألححتُ عليه:

– «كيف؟»

– «هذا سخيف.»

حذرته مع لوحة من إصبعي:

– «لا تجبرني على توبيخك يا ماكوتو خيتان.»

محا المسافة بيننا بسهولة، وقال:

– «حسناً. أعلم لأنني ضمنتُ ألا ينسى أبداً كيف تبدين. ضمنتُ أن يعرف بالضبط من أنتِ وألا يخطو خطوة واحدة نحوكِ.» أخذ نفساً، ووجهه قريب من وجهي. «إلا أنه فعل. وأنا فشلت.»

هززت رأسي، وفمي مفتوح بشكل سخيف:

– «مـ–ماذا؟ ماذا تعني بأنك ضمنت ألا ينسى كيف أبدو؟»

صمت للحظة طويلة قبل أن يغمغم بسلسلة من الكلمات التي جعلتني أحدق مذهولة أكثر:

– «أجبرته، هو وكل رجل آخر وجدته، على حفظ كل تفصيلة من ملامحك. وصفتُ لهم لون عينيكِ وطول الرموش التي تزينهما. دفء بشرتك، وتجعيدة شعرك المميزة. أنفكِ، شفتيكِ، ابتسامتكِ. وصولاً إلى الندبة ذاتها على كفكِ من أحد خناجري، أجبرتهم على حفظك عن ظهر قلب. لذا، نعم، كان يعرف بالضبط من أنتِ، ومع ذلك قرر تجاهل تهديداتي.»

امتد الصمت بيننا وأنا أحدق إليه لأعلى.

أصبح تعبيره أكثر دفئاً عند رؤية تعبيري، رغم أنني لم أخطئ الحزن القابع خلف نظراته. وحتى في خضم حداده، تمكن من استدعاء بداية ابتسامة وهو يقول:

– «لم أكن أعلم أنه من الممكن جعلكِ عاجزة عن الكلام.»

قلت وأنا أهز رأسي محاولة العثور على الكلمات:

– «أنا فقط... أنا فقط لا أصدق أنك قد تفعل كل ذلك من أجلي.» ابتسم بخفة وأنا أتابع:

– «ومع ذلك، ترفض أن تتعلم التخطي.»

عندها، دفعني بعيداً بوضع كفه على جبهتي. تهلل وجهي، سعيدة بكوني إلهاءه. بقعته المضيئة وسط الظلام.

قال ببرود:

– «أستطيع القول إن لا شيء قد أفعله لكِ سيفوق هذه الإهانة.»

لاحقته ضحكتي المكتومة حتى نهاية الزقاق.

وصفقتُ عندما استأنف محاولاته في التخطي.

الفصل 15

ماكوتو

سألت:

– «ماذا قلت عن النوم في هذه المزبلة؟»

ابتسمت، وطوت ساقيها الطويلتين تحتها، وبدت مرتاحة بشكل لا يُصدق فوق السجاد الخشن خلف الحصن، وأجابت:

– «أمم، أنك أحببت الأمر، وستسعد بالبقاء مجدداً إذا كان ذلك يعني قضاء المزيد من الوقت معي؟»

قلبتُ عينيّ:

– «تلك الكلمات لم تخرج من فمي بالتأكيد، لكن لا يسعني الجدال حول الجزء الأخير.»

رمقتني بواحدة من تلك الابتسامات التي يصعب إشاحة النظر عنها، وقالت:

– «جيد. لأنني قررت أنه ينبغي علينا زيارة الحصن في ليلة كل حفلة راقصة.» مزقت قطعة عجين حلوة من كعكة العسل اللزجة التي فاجأتها بها وتابعت:

– «سمها خرافة، لكننا كنا هنا ليلة الحفلة الأولى، وبيدن لا تزال حية تُرزق وبخير. لذا أعتزم مواصلة تقليدنا.»

هيرا ليست كذلك.

تجاهلتُ هذه الفكرة، تماماً كما أفعل كل يوم، وقلت ببطء:

– «حسناً، الزيارة تعني أنه لن يتحتم عليّ النوم هنا، لذا...»

تذمرت قائلة:

– «أوه، بلى ستفعل! لم يكن الأمر بهذا السوء في المرة السابقة.»

– «ظهري لا يزال يؤلمني.»

– «لقد مر أسبوع!»

تعثرت عند هذا الإدراك.

لقد مر أسبوع.

أسبوع منذ أن مزقتُ ذلك المنشور من على جدار متداعٍ، لأتصفحه وأجد أن هيرا قد طُعنت حتى الموت في التصفية الأولى.

أسبوع منذ أن بكيتُ بين ذراعي أدينا. وشعرتُ بلمساتها المهدئة. وبُحتُ بذنبي، وندمي، ومخاوفي.

أسبوع منذ أن بدأت الحداد على فقدانها.

لكنني بكيتُ بما يكفي، وأغرقتُ الألم في دموعي. كل شيء يبدو باهتاً الآن، رغم أن ذكراها أبعد ما تكون عن ذلك. سئمت الدموع، وحالة اليأس المستمرة. كانت هيرا لتوبخني لتألمي بهذا القدر على فقدانها. كانت لتخبرني بهدوء أن أتماسك، تماماً كما فعلت مرات عديدة على مر السنين.

وها أنا ذا، أحاول فعل ذلك بالضبط. رغم أنني حظيت بإلهاء لا بأس به ليؤنسني.

قلت قابلاً بعرض أدينا:

– «حسناً. فليكن الحصن إذن. أشكر الطاعون أنه ليس عليّ فعل ذلك سوى مرة واحدة أخرى بعد الليلة.»

أطلقت صرخة خفيفة من الدوار والسعادة لموافقتي:

– «عظيم! وقبل أن أدرك ذلك، ستعود بيدن لتؤنسني.»

وقبل أن أتمكن من تقديم سخريتي، عادت تتحدث مجدداً:

– «أوه، هذا يذكرني! يجب أن نعيد تزيين المكان قبل أن تعود إلى المنزل!»

عبست عندما رأت النظرة الخالية من التعبير على وجهي. فأشرت إلى ما حولنا وقلت:

– «بالتأكيد، افعلي ما يحلو لكِ يا حلوتي.»

قالت بصرامة:

– «ماكوتو.»

جعلني صوت اسمي الكامل المتساقط من شفتيها أطوي شفتيّ أنا الآخر. تابعت:

– «لن يستغرق الأمر سوى دقيقة. هيا، انهض.»

بعد أن نهضت على قدمي على مضض، اكتشفت أن الأمر لن يستغرق، في الواقع، مجرد دقيقة. جعلتني أدينا أثبت خيوط الغزل على جانبي جدران الزقاق، لتمتد على طول الحصن. ثم شرعت في خياطة مربعات من القماش عبرها، لتصنع لافتة ملونة تحب أن تسميها "احتفالية ولكن دون أن نبدو مصدومين للغاية من نجاتها".

ولم يمر وقت طويل حتى أُجبرتُ على إعادة ترتيب كومة القمامة التي ينامان خلفها، وتنظيم الحاجز "بطريقة أكثر جاذبية"، أو هكذا تعتقد هي. ومع اللمسات الأخيرة التي تضمنت بطانية تبدو جديدة ووسادة واحدة نتشاركها، سُمح لي أخيراً بالجلوس.

صفقت أدينا بيديها من مكانها حيث تتأمل ترتيبات النوم التي أصبحت أقل بؤساً قليلاً وقالت:

– «أرأيت! أفضل بكثير. ستُصدم بيدن حقاً.»

أخذتُ قضمة من كعكة العسل، وتمتمتُ بنبرة ساخرة:

– «نعم، لا شيء يصرخ "مرحباً بكِ في منزلك" أكثر من كومة قمامة مرتبة حديثاً.»

وضعت يداً على خصرها وقالت:

– «كومة القمامة هذه هي كل ما أملك.»

سألتها:

– «ظننتُ أنكِ تملكينني؟»

رمشت بعينيها بطريقة جعلتني أتساءل كيف أجعلها تفعل ذلك مرة أخرى، وسألت:

– «هل حقاً أملكك؟»

ابتلعتُ ريقي، وأجبرتُ الكلمات الضعيفة على الخروج من فمي:

– «طالما أنكِ تقبلين بي.»

سألت برقة:

– «وإذا لم أقبل؟»

– «إذن فلن يفعل أحد أبداً.»

تجولت عيناها فوقي، ولا أستطيع القول إنني كرهت هذا الشعور. وبعد أن تنحنحت ونظرت بعيداً بخجل، مشت نحو الحاجز قبل أن تخترقه تماماً متجاوزة إياه.

تلامس كتفانا عندما جلست بجواري، وتوترت من هذا الشعور. ليس لأنني لا أريدها، بل لأنني غير معتاد على الإطلاق على أن يرغب بي أحد. أن يختارني أحد. أن يجدني أحدهم أستحق العناء.

لأنني لا أستحق ذلك على الإطلاق. لا أستحقها. إذا كان الظلام هو غياب النور، فهذا ما أكون عليه في غيابها. وأتساءل كيف تعثرت طوال هذه المدة دون وجودها لترشدني.

أخرجني سؤالها بشكل غير متوقع من أفكاري:

– «كيف يبدو الأمر؟ امتلاك كل هذه القوة؟»

أجبت دون حتى أن أتردد:

– «موحش.»

– «لأن لا أحد يعرف بأمرك؟»

أومأت برأسي:

– «وأنا أعرف بأمر الجميع.»

قالت بنعومة:

– «الجميع يُخبرون بأن كاي هو أقوى فرد من أفراد النخبة منذ عقود. ومع ذلك، هأنذا أجدك، تشاركه قوته وتعيش في العشوائيات.»

بصقت الكلمات بمرارة:

– «أختبئ في العشوائيات.»

تنهدت، وبدا صوتها محبطاً بشكل صادم:

– «هل تعتقد حقاً أن الملك سيقتلك إذا علم أنك مستحوذ (ويلدر)؟»

أجبت باهتًا:

– «أعتقد أنه لن يراني سوى كتهديد له. تماماً مثل القاتلين (فاتالز). لقد أبقى على واحد فقط من كل فئة، والآن لديه مستحوذ (ويلدر) صودف أنه ابنه الذي يستطيع السيطرة عليه.»

تأملتني وكأنني أحد صفوف غرزها وقالت:

– «تبدوان متشابهين بشكل غريب. في جوانب أكثر من مجرد القدرات.»

أخذتُ قضمة أخرى من العجين المغطى بالعسل وقلت:

– «حسناً، لقد اقترف هو الكثير من الحماقات. وأنا مجرد شخص فظيع حقاً. أنا متأكد من أننا كنا لنكون أعز الأصدقاء في ظل ظروف مختلفة.»

أخبرتني همهمتها الجوابية أنها توافقني الرأي. ويبدو أن هذا هو الجواب الوحيد الذي تهتم بتقديمه. تشتت انتباهها فجأة بخصلات التجعيدات

المتساقطة عبر كتفيها، والآن، تشتت انتباهي أنا الآخر. ماذا قلت لها عنها؟ آه، نعم. شيء عميق يشبه كونها شديدة الحيوية.

يا لها من محاولة مثيرة للشفقة لادعاء اللامبالاة. وكأنني لا أُعجب بلمعان كل خصلة، أو بالطريقة التي تتشبث بها ببعضها البعض في عناق متشابك. وكأنني أستطيع منع نفسي من التحديق في عنقها الممشوق عندما ترفع ذلك الشعر المجعد في عقدة فوضوية، لتترك الخصلات المنسية كحبر دوار ينحدر على ظهرها.

وكأنني أستطيع منع نفسي من الإعجاب بمدى سهولة انفراج شفتيها الناعمتين عن ضحكة. أو الطريقة التي تدفئ بها الشمس بشرتها، وكأنها خُلقت لتتوشح بالنور. إنها الطريقة التي يتدفق بها الفرح منها في هيئة تصفيق باليدين وأحاديث متناثرة محببة. إنها الطريقة التي لا تكف فيها أفكاري عن التجول نحوها، ليتبعها قلبي متهاوياً بلا حواس.

وأخشى أنني أُعجبتُ بكل إنش فيها.

قالت:

– «لدي شيء من أجلك.»

أتبعت هذا الاعتراف بضحكة ناعمة، قلقة ومسكرة في آنٍ واحد. استندتُ للخلف على ساعديّ، وعبرتُ عن أمنياتي:

– «آمل حقاً أن يكون سريراً.»

أجابت ببهجة مبالغ فيها:

– «كلا. بل أفضل. أو هكذا آمل.»

نظرتُ إلى هيئتها المتململة، وساقيها المتقاطعتين تهتزان بإيقاع، وقلت:

– «قليل من الأشياء أكثر جاذبية من النوم طوال الليل. لكن، أرني ما لديكِ يا عزيزتي.»

التوى وجهها في نظرة ضيق شديد:

– «حسناً، أنا متوترة الآن!» رفعت يدها وأكملت: «هذا كل شيء. لا يمكنني إعطاؤك إياه الآن. إنه ليس جاهزاً.»

تمتمت:

– «بحق الطاعون، ماذا فعلت؟ هيا يا دينا. دعيني أراه. أنا متأكد من أنه... رائع – أو أي كلمة رقيقة أخرى تحبين استخدامها.»

أغمضت عينيها وهي تأخذ نفساً عميقاً. درامية بشكل سخيف، هذه الفتاة.

انفتحت عيناها بتصميم مفاجئ:

– «حسناً، حسناً. لقد كنت أعمل على شيء خلال وقت فراغي في القلعة. ولاحظت أنك لا تملك أي شيء لتحمل فيه سكاكينك. لذا...» مَطَّت الكلمة وأكملت: «اعتقدت أنني مؤهلة تماماً لمساعدتك في ذلك – أقصد، لقد صنعت سترة بيدن بعد كل شيء، والتي لعبت دوراً محورياً في مسيرتها المهنية كـ لصة...»

قاطعتها:

– «إن الكم الهائل من الكلمات التي تتحدثين بها كل يوم لهو أمر مذهل...»

أنهت كلامها غير عابئة بمقاطعتي:

– «...لأن التصميم فريد ومناسب لاحتياجاتها. لذا، فعلت الشيء نفسه من أجلك.»

وبعد أن أومأت برأسي مشجعاً عدة مرات، استلت أخيراً شيئاً من الحقيبة القماشية بجوارها. وعرضت القطعة بذراعين ممدودتين بينما مررت نظري على القماش السميك المقترن بنفس الجلد الأبيض المستخدم في صنع قناع الإمبراطوري الخاص بي.

رمشتُ، مذهولاً من حزام الأسلحة الجميل أمامي، والمزود بجرابات ذات أحجام فريدة لتناسب كل سكين من سكاكيني. مددت يدي، متتبعاً رقع الجلد بأصابعي، متلمساً كل غرزة دقيقة وكل امتداد في القماش المتين.

شعرت بعينيها مسلطتين عليّ وأنا أعتدل ببطء، آخذاً الهدية بلطف من يديها.

تلاشى صوتها قبل أن تبدأ من جديد بابتسامة صغيرة:

– «هل... هل أعجبك؟ يمكنني تمديد الجيوب لكل سكين، إن أردت. لم أكن متأكدة حقاً من الطول المناسب لها...»

قلت بصوت هادئ وحازم:

– «لا. لا، أريده بالضبط كما صنعتِه. إنه مثالي.»

تنفست بتردد حتى مع إشراق وجهها:

– «حقاً؟ أفضل من سرير؟»

نظرت إليها، سامحاً لنفسي بمشاركة الابتسامة المحفوظة لها فقط:

– «أفضل بكثير من سرير.»

صفقت، ولم أعد متفاجئاً من هذا الفعل. ولا حتى مستاءً من الفرحة التي تسببت فيه. كل ما في الأمر أنني محظوظ بما يكفي لأشهد ذلك.

تنهدت، وارتخت من فرط الارتياح:

– «أوه، جيد!» وعندما لم أستطع فعل أي شيء سوى التحديق في الحزام، لوحت بيد ملحة وقالت: «حسناً، هيا! جربه!»

أطعت دون أي جدال يذكر، ولففت الحزام حولي، وأغلقته بإبزيمه بسرعة. استقر منخفضاً على وركي، مما يتيح وصولاً سهلاً للسكاكين التي ستصطف فيه قريباً.

هززت رأسي غير مصدق:

– «قد يكون هذا هو الشيء الوحيد الذي أهدانيه أي شخص على الإطلاق، لكنني متيقن تماماً من أنه لا يمكن أن يكون هناك شيء أفضل.»

علقت بابتسامتها المعتادة:

– «يبدو هذا وكأنه تحدٍ. سيتعين على الهدية التالية أن تكون أكثر روعة.»

أبديت اعتراضي بنظرة خالية من التعابير:

– «أوه، لن يكون هناك أي هدايا أخرى.»

كان جعلها تعبس هكذا ليزعجني لولا أنه لسبب سخيف كهذا. سألت:

– «ولماذا لا؟»

انحنيت نحوها، مراقباً عينيها وهما تتسعان لقربي المفاجئ:

– «لأنني أعلم مدى حزنكِ عندما لا يتمكن أي شيء آخر من مضاهاة هذا.»

لفت خصلة مجعدة فضفاضة حول إصبعها – وهو فعل شارد الذهن أضبطها تفعله غالباً – وقالت:

– «سنرى بشأن ذلك.»

قلت بنعومة، رغم أن ذلك جعلها ترفع رأسها بعنف:

– «دينا. شكراً لكِ.»

ابتسمت بحزن:

– «أنا آسفة لأنني أول من يمنحك هدية.»

تساقطت الكلمات بسرعة من شفتيّ:

– «أنا لست كذلك. كنت لأنتظر تسعة عشر عاماً أخرى لو كان ذلك يعني أن تكوني أنتِ أول ذكرى طيبة أُهديتُ إياها.»

تجولت عيناها العسليتان لتلاقيا عينيّ:

– «لكنك تستحق أكثر من ذكرى طيبة واحدة.»

– «إذن، من الجيد أنني أخطط لإبقائكِ في الجوار.»

ابتسمت لي، وبدا وكأنها تضيء الزقاق المظلم حولنا:

– «أود ذلك كثيراً يا ماك.»

بالكاد غادرت الكلمات شفتيها قبل أن يخنقها تثاؤب. رفعتُ حاجباً:

– «متعبة؟»

قالت وسط تثاؤب آخر:

– «منهكة. إن المشي إلى هنا من القلعة يعد تمريناً شاقاً حقاً.»

سخرتُ قائلاً:

– «نعم، ذكريني بأن أضيف تدريب التحمل إلى جلسات القتال الخاصة بنا.»

تأوهت، ورمقتني بنظرة متوسلة:

– «وماذا سيكون ذلك؟»

هززت كتفي قبل أن أستند إلى الخلف على يديّ:

– «لا أدري. أجعلكِ تركضين في الشارع عدة مرات. ربما تتفادين بضعة أطفال.» داعبت ابتسامة زوايا فمي وأضفت: «هذا من شأنه أن يرهقكِ بما يكفي لتقليل عدد كلماتك في المساء.»

عقدت ذراعيها بوضعية دفاعية، ونبرتها أكثر من ذلك:

– «حسناً، ربما يجدر بي أنا وعدد كلماتي الذهاب إلى مكان آخر إذا كنا غير مقدرين.»

– «أوه يا حلوتي، إنه محل تقدير أكثر من اللازم. بل أجرؤ على القول إنه محل إعجاب أيضاً.»

ابتلعت ريقها، وبدت خجلة:

– «ولهذا السبب بالكاد تنظر إليّ عندما أتحدث؟»

هززت رأسي، مستاءً حقاً:

– «دينا، إذا نظرت إليكِ وأنتِ تتحدثين، لا يمكنني ضمان أنني سأكون منتبهاً لما تقولينه.»

مرت فترة توقف طويلة وهي تتمعن في هذا الرد:

– «أوه. فهمت.»

حتى في ظل الظلال الممتدة، استطعتُ تمييز ملامحها المرتبكة. تنحنحت عدة مرات أكثر من اللازم قبل أن تُنزل ظهرها ببطء على السجادة الخشنة تحتنا. وبعد تكديس كل بطانية وقطعة قماش فوقها، اندست أسفل شرنقة القماش.

اندفعت يد من تحت الكومة، لتربت على المساحة بجوارها. وأصرت:

– «استلقِ. ها أنا ذا أشاركك بطانياتي حتى.»

تصلبتُ في مكاني:

– «أعتقد أن شيئاً ما تحرك للتو تحت السجادة.»

تغنت أدينا متجاهلة قلقي:

– «أوه، المكان دافئ جداً تحت هنا!»

قلت:

– «نعم، ابقِ هناك حتى يندس أي شيء يزحف حولك في الداخل معكِ.»

وقبل أن تسنح لي فرصة للهروب، شدتني من حزام الأسلحة. وفي غمضة عين، وجدتُ نفسي مستلقياً بجوارها، غير متأكد كيف انتهى بي المطاف في هذا الموقف المزعج للغاية.

استطعت سماع الابتسامة في صوتها وهي تقول:

– «أرأيت، الأمر ليس بهذا السوء!»

لم أكلف نفسي عناء مبادلتها الابتسامة وأنا أقول:

– «بالتأكيد، إذا كنتِ تستمتعين بنوم مضطرب.»

تلوى جسدها مقترباً مني، ضاغطاً بكتف عارية على كتفي الرقيق الملبس. دفأني حرها تماماً، حتى أنه تمكن من الانتشار إلى وجنتيّ. بدت فجأة شديدة الرقة بجواري، وكان من الصعب التخلص من الرغبة الملحة في لف ذراع حامية حولها.

قالت بنعومة:

– «أنا أعد النجوم، لتساعدني على النوم.»

أدرتُ رأسي نحوها، مراقباً خيال صورتها وهي تحدق في السماء. كان الذهول يغلف كل كلمة تخرج من شفتيها الناعمتين:

– «لطالما تساءلت كيف لشيء أن يلمع بهذا البريق، حتى وهو يُبتلع في الظلام.»

مرت عيناي على الملامح المظللة لوجهها وأنا أقول:

– «أنا أيضاً أحاول معرفة ذلك بنفسي.»

غمغمت:

– «آمل أن يدركن مدى الإعجاب الذي يحظين به هناك. أقصد، أنا أعدهن قبل النوم كل ليلة.»

هززت رأسي عند رؤيتها تُعجب بشيء باهت جداً مقارنة بها.

– «أنا متأكد تماماً من أن النجوم نفسها تحسدكِ.»

التفت رأسها نحوي، ساحبةً عينيها من السماء لتثبتهما عليّ:

– «ماذا؟»

كررت بنعومة، مائلاً نحوها:

– «أنتِ تجعلين حتى النجوم تحسدكِ. لأنه في يوم من الأيام – بعيداً عن الآن – ستكونين هناك بجانبهن، وتفوقين كل واحدة منهن بريقاً.»

لست متأكداً مما فيها يجعلني أنثر النثر فجأة كشاعر، لكن إن كنت قد تعلمت منها أي شيء، فهو ألا أخفي ما أشعر به بعد الآن. حتى لو كان ذلك يعني الاعتراف بأشياء ربما لا ينبغي لي قولها.

استطعتُ الشعور بأنفاسها المتسارعة، وسماع أفكارها المتسابقة عملياً. كان كل إنش فيها متوتراً ضد جسدي، وعندما لامست مفاصل أصابعي مفاصلها، احتبس الهواء في حلقها. وبعد عدة أنفاس مرتعشة، همست:

– «وهل ستكون بجانبي هناك؟»

– «لو حالفني كل هذا الحظ.»

غمغمت بصرامة:

– «عدني بذلك. لا أريد أن أكون وحدي.»

أومأت بوجهي المدفون في شعرها:

– «أعدك، يا دينا.»

الفصل 16

أدينا

– «**لدي** هديتي التالية لك.»

جلستُ القرفصاء على سريره، قابضة على المفاجأة خلف ظهري، وراقبته يخطو نحوي. كان الرماد يتشبث بيدي وينتشر صعوداً على ذراعيه. مرت عيناي على خصلات الشعر الأسود المتساقطة على وجهه فوق القميص الذي يلتصق بإحكام بجسده. ابتلعت ريقي عند رؤيته، لكنني أجبرت ارتباكي على التراجع إلى الحد الأدنى.

أوصلته ساقاه الطويلتان إليّ في غضون لحظات.

– «ظننت أننا قررنا ألا مزيد من الهدايا. من أجل سلامة عقلكِ.»

هززت كتفيّ:

– «أنت من قرر ذلك. أما أنا فقررت محاولة التفوق على الهدية الأخيرة.»

– «يجب أن تعلمي أنني أشعر بخوف مبرر.»

أشرتُ إلى المرتبة الفارغة بجواري قائلة:

– «إنه ليس شيئاً سيئاً، أقسم لك! حسناً، اجلس.»

أنّ السرير وهو يغوص فيه ببطء. ألححتُ ببطء:

– «الآن، أغمض عينيك.»

تنهد قبل أن يطيعني:

– «نعم، خائف جداً.»

تجاهلتهُ، ورفعت الهدية بيننا، عارضة إياها على ذراعيّ الممدودتين.

– «حسناً، افتحها!»

اختلس النظر إليّ من خلال رموشه، متأكداً من الأمان قبل أن يفتحهما بالكامل. وبمجرد أن فعل، تبعه فكه، لينفرج قليلاً ـفي ذهول.

قلتُ على عجل:

– «إنها مختلفة عن السترة التي صنعتها لبيدن. كبداية، إنها سوداء بدلاً من اللون الأخضر. اعتقدت أن هذا اللون يناسبك أكثر.» لففت السترة بعناية بين ذراعيه، وأشرت إلى الجيوب التي تبطنها. «وسترتك مبطنة بالمزيد من ذلك الجلد المتبقي، لتتمكن من إدخال بعض السكاكين فيها دون القلق من طعن نفسك!»

هز رأسه، ممرراً أصابعه الملطخة بالرماد على كل غرزة:

– «كيف يمكنكِ أن تكوني بهذه البراعة؟»

– «حسناً، حرصت أمي على أن أتمكن من خياطة خط مستقيم وعيناي مغلقتان، وتطلبت الجيوب بعض الممارسة لكن...»

قاطعني برقة، بضحكة ناعمة بالمثل:

– «لا. أنتِ. كيف يمكن لشخص واحد أن يكون بهذا القدر من النقاء والروعة؟»

انسحبت زاوية فمي ـفي ابتسامة خجولة:

– «ليس الأمر صعباً للغاية عندما تتدرب طوال حياتك.»

كان ينظر إليّ بتلك الطريقة التي يفعلها غالباً. وكأنه يقع بصره عليّ للمرة الأولى، ويكتشف شيئاً غريباً تماماً ليحدق فيه. إنها هذه النظرة التي تجعلني أشعر وكأنني الشيء الوحيد الذي لفت انتباهه على الإطلاق.

وبسرعة بالغة، انخفضت نظراته. رقصت أصابعه فوق القماش، وتعثرت أسفل أحد الجيوب:

– «ما هذا؟»

ابتسمت بخجل:

– «أوه، لقد تركت لك رسالة.»

التفتت عيناه إلى عينيّ قبل أن تمرر نظراتها على الخيط الأرجواني المطرز. لم أكن يوماً بارعة في رسم الحروف، لكن الخط المتصل كان نظيفاً بما يكفي لقراءته، على أقل تقدير.

غمغم ممرراً إصبعه على الجملة والنجوم المرافقة التي خطتها بجوارها:

– «أراك في السماء.» اتسعت ابتسامته وهو يضيف: «يبدو الأمر مشؤوماً بعض الشيء، ألا تعتقدين ذلك؟»

قلت ببساطة:

– «ليس إذا فكرت فيه بحب.»

– «أنتِ شخصية غريبة الأطوار حقاً يا دينا.»

كانت ابتسامتي عريضة بشكل مؤلم:

– «أوه، شكراً لك.»

أصبح رزيناً فجأة:

– «لا. شكراً لكِ أنتِ يا حلوتي. سأرتديها بكل حب.»

تلاقت عيوننا لعدة ثوانٍ بطيئة قبل أن أترك السؤال ينفلت أخيراً:

– «لماذا تناديني هكذا؟» وعندما رفع حاجبه، أوضحت على عجل: «(حلوتي)؟»

هز كتفيه، وكأنه غير مبالٍ:

– «ظننت أن الأمر واضح. أنتِ ما تأكلينه.»

جعلني هذا عاجزة عن الكلام، فاغتنم هو الفرصة ليتابع. ولكن بعد أن اقترب أكثر، ليغمرني بالدفء بمجرد ضغطة جسده. أعتقد أنني توقفت عن التنفس عندما ارتفعت يده، تشق طريقها ببطء نحو وجهي.

راقبته يبتلع ريقه وهو يبعد الغرة عن عينيّ، لتدغدغ همسات أصابعه بشرتي. حركت أنفاسه شعري، موقظة الفراشات في معدتي، ومبللة راحتيّ المستقرتين في حِجري. مرّت مفاصل أصابعه على طول خدي، وكنت مفتونة جداً لدرجة أنني لم أتساءل عما إذا كان قد ترك أثراً من الرماد على بشرتي. وعندما تحدث، أقسم أنه كان يخاطب روحي ذاتها:

– «أنت أحلى ما لم أذقه قط.» تمريرة أخرى من مفاصل أصابعه. «وأشك في أنني اشتهيتُ شيئاً أكثر من ذلك يوماً.»

تباً بحق السماء.

لست ممن يتلفظون بالشتائم، لكن موقفي الحالي يبدو وأنه يستدعي ذلك. أريد أن أصرخ بها، وأغوص تحت ذراعه وأركض حتى أصل إلى الأراضي المحرقة. لكنني متجذرة في مكاني، غارقة حتى ركبتيّ في مشاعر متبادلة لم أحلم قط بأنها قد تكون بهذه الاتساع.

وهذا يرعبني.

لم أكن يوماً ملكاً لأحد. وليس لدي أدنى فكرة عن كيف أكون كذلك.

أنا خائفة جداً من إفساد الأمر، لدرجة أنني أفكر في التراجع كلياً.

مشاعره تجاهي كانت محجوزة لأحلام اليقظة والتفكير الوهمي. كنا خيالاً نسجتُه في رأسي، متسائلة لأسابيع عما إذا كان سيصبح حقيقة واقعة يوماً ما. والآن بعد أن أصبح كذلك...

– «بحق الطاعون، هذه الغرة!» قفزتُ مبتعدة عن لمسته المغرية، ضاحكة بتوتر. «إنها دائماً في عينيّ هكذا – تدفعني للجنون!»

رمش بعينيه نحوي، محاولاً تفسير انفجاري المفاجئ. بدأت أهوي بيدي على وجهي الساخن، وأهذي بكلمات متلاحقة:

– «عادة ما تقص بيدن غرتي من أجلي، ولهذا السبب هي معوجة جداً. حسناً، هي تحب أن تعتقد أن ذلك بسبب تحركي أثناء القص، لكنني أختلف معها في الرأي. وقد كانت مشغولة جداً مؤخراً، لذا أصبحت طويلة بما يكفي لتطعن عينيّ باستمرار...»

– «أنا سأقصها.»

أفزعتني كلماته لتغرقني في صمت لعدة ثوانٍ:

– «أنت... هل تفعل ذلك حقاً؟»

سخر بألطف طريقة ممكنة:

– «لقد تدربتُ على التخطي من أجلكِ. هذا لا شيء يذكر.»

وقبل أن أتمكن من التلعثم برد، نهض لينبش في خزانة قريبة. ثم عاد بخطوات واسعة نحوي، وبيده مقص مغطى بالغبار. غاص في المرتبة بجواري، ورفع الشفرتين نحو وجهي.

ملتُ بعيداً، ضاحكة بقلق:

– «حسناً، أمم، هل سبق لك أن فعلت هذا من قبل؟»

قال بصوت باهت:

– «قص الشعر؟ لا. لكن لدي خبرة واسعة في قص الأشياء.»

تململتُ عندما اقترب المقص أكثر:

– «عظيم.»

– «حسناً، إذا استمريتِ في فعل ذلك، فسأطعنك في عينكِ.» لابد أن نظرة الرعب على وجهي دفعته ليضيف: «لا، ليس عن قصد.»

أخذتُ نفساً عميقاً:

– «حسناً، حسناً. أنا هادئة وبالتأكيد لست خائفة الآن.»

قال بمرح ساخر:

– «هذا مقنع بما فيه الكفاية بالنسبة لي.»

جعلتني القصة الأولى للشعر أعض على لساني. وبحلول الثالثة، كنت أضحك مكتومة الأنفاس.

تنهد قائلاً:

– «ماذا الآن؟»

أصدرت صوتاً خفيفاً:

– «لا شيء. الأمر يدغدغ فحسب.»

– «كانت بيدن محقة. هذه الغرة المعوجة كلها من صنيعكِ.»

عقدتُ ذراعيّ محاولة الجلوس بثبات:

– «ربما أحب غرتي معوجة قليلاً. إنها تضفي طابعاً مميزاً.»

– «أوه، أنتِ لستِ بحاجة إلى المزيد من ذلك.»

قام بالقصة الأخيرة، تاركاً الشعر يسقط في حِجري بجوار البقية. جمعت أطراف تجعيداتي في كفي، أرثي فقدانها بصمت وكأنها شعرت بكل قطرة نصل.

وعندما نظرت إليه مجدداً، رفع يده نحوي ببطء، مانحاً إياي وقتاً كافياً للتراجع. لكنني تسمرت في مكاني، سامحة له بتمرير أصابعه عبر الغرة المقصوصة حديثاً.

سألت بهدوء:

– «هل لا تزال معوجة؟»

أومأ برأسه، مبتسماً بزاوية فمه:

– «ليس إذا أملتِ رأسكِ.»

كان الحزن في نظراته يقل مع مرور كل يوم، وعندما أنظر إليه الآن، لا أرى سوى الرضا. والتقبل. بادلتُه الابتسامة، وأومأتُ إلى شعره اللامع وكل خصلة تفلت من الربطة المعقودة على عجل.

– «حسناً، ليس بإمكاننا جميعاً امتلاك شعر مثالي.»

ضحك، وارتجفتُ لصوته العميق:

– «ربما يكون شعري هو أقل شيء مثالي_يّ.» أشار إلى الخصلة الفضية التي تطل من بين الخصلات السوداء وأكمل: «إنه مشوه بهذه الخصلة من...»

تلاشى صوته عندما وجدت أصابعي تلك الخصلة الفضية. تتبعتُ الخصلات، وحفظت ملمسها تحت أطراف أصابعي. استطعت سماع أنفاسه، والشعور باقترابه شيئاً فشيئاً مع مرور كل ثانية.

همست مبتسمة للون الفضي اللامع:

– «أعتقد أنه مثالي. وكأنه قطعتي الصغيرة من بيدن.»

وجدت يده خصرها نحو خصري، وكانت أصابعه ثابتة بطريقة جعلت رأسي يدور. وفي اللحظة التي ظننتُ فيها أنني قد أحترق من لمسته، بدأت يده تلك_في التحرك صعوداً على ظهري لتجذبني نحوه.

سحبني قريباً، وفجأة، تمنيت بصمت ألا يتوقف أبداً. وبينما ذراعه ملفوفة حولي بقوة، انحنى للأمام حتى تلامست جبهتانا. وحينها همس:

– «أعتقد أنكِ قطعتي الصغيرة من الكمال.»

دق قلبي لكلماته، ولشعوري بعناقه ولمسة أصابعه.

لقد أمضيت حياتي كلها أتمنى أن أكون مرغوبة. وها هو الآن يتوسل إليّ لأسمح له بذلك.

تراجعتُ للخلف بما يكفي لتلتقي عيناي بعينيه، لأجد الإجلال والخشوع في نظراته. ومع نفس عميق، بدا وكأن كل الخوف يتلاشى عندما ركزتُ عليه. عندما تخليت عن التوقعات وكنت ببساطة كما أنا.

إنه خيالي. وهذا هو واقعي.

ومع هذا الإدراك، تبخر كل تردد.

وقبّلتُه.

احتضنت يداي وجهه، وانفرجت أصابعي فوق عظام وجنتيه الشامختين. كانت قبلة خفيفة. بريئة وحلوة. قبلني برقة، واحتضنني بحماية. كانت شفتاه ناعمتين ضد شفتيّ، رقيقتين ودافئتين.

تراجعتُ قليلاً، أتأمله عبر الغرة التي قصها للتو. لكن نظراته كانت مسلطة على شفتيّ، تتتبع شكلهما. جعلني هذا المشهد أشعر بقلبي ينبض بجنون، وعقلي يهمس بأفكار لم أمتلك الجرأة لاتباعها قبل هذه اللحظة أبداً.

انقبضت يده على ظهري، مجبرة إياي على أخذ نفس مهتز:

– «أنا... أنا لست جيدة جداً في هذا يا ماك،» تلعثمتُ لاهثة. «لست معتادة على أن الفتيان الذين يعجبونني يتحدثون إليّ حقاً، ناهيك عن أن يلمسوني هكذا...»

قال بصوت لاهث وعيناه تنزلقان إلى شفتيّ:

– «هل ستتوقفين عن الكلام لفترة كافية لأتمكن من تقبيلكِ كما ينبغي؟»

– «أمم...» ابتلعت ريقي، متقدمة نحوه بوصة بوصة. «حسناً، لم أستنفد بعد حصتي من الكلمات لـ...»

تحطمت شفتاه على شفتيّ.

كانت هذه القبلة نقيض تلك الأولى التي تداركناها. يداه في شعري، وتنزلقان على عنقي. كانت عميقة وطويلة وكل ما حلمت به يوماً. أسقط ذراعاً حول خصري، ساحباً إياي بقوة نحوه لدرجة أنني تساءلت بضعف عما إذا كان قادراً على الشعور بقلبي المدوّي. وقبل أن أتمكن من إقناع نفسي بالتراجع، تأرجحت بساقي فوق كلتا ساقيه، لأجد نفسي فجأة أجلس في حِجره.

ثم فعل شيئاً. شيئاً أكثر حميمية بكثير من أي قبلة أو لمسة حتى الآن.

لا، لقد تراجع للخلف بما يكفي ليسمح لي برؤيته يبتسم.

كانت ابتسامة واسعة، ومشرقة، وتخصه هو بجمال.

سألت لاهثة وأنا أحدق في ابتسامته:

– «من أجلي؟»

غمغم:

– «كل واحدة منها.»

قبلتُه بشراسة. قبلتُه بالطريقة التي طالما تخيلت أن أقبل بها شخصاً طوال حياتي. قبلتُه وكأنها نهاية قصة خيالية.

احتضنت يد خشنة وجهي بينما جالت الأخرى على ظهري. تحركت شفتاه ضد شفتيّ وهو يتنفسني. وسمحت له بذلك بكل سرور. سأكون بكل سرور أكثر من مجرد قطعة من كماله. يمكنني أن أملأه بالكامل، وأحشوه بعاطفتي حتى يمرض منها.

سأعطيه كل قطعة مني لو طلب ذلك بأدب فقط.

تراجعت، أتنفس بصعوبة.

فعل ماك الشيء ذاته، مسنداً جبهته إلى جبهتي. زحف اعتراف في حلقي، ممزقاً شفتيّ المغلقتين قبل أن يتدفق أخيراً:

– «أنا أتعثر فيك يا ماك.»

مرر إبهامه على خدي وقال:

– «تتعثرين فيّ؟»

أومأت برأسي، وأنفاسي مهتزة:

– «أنا لا أقع في حب شخص ما. أنا أتعثر بشكل لا إرادي نحوه قبل أن أرتطم حتماً بالأرض.»

ابتسم برقة، وكان الفعل لطيفاً فوق ملامحه الصارمة. تجولت عيناه على وجهي بينما دست أصابعه شعراً متمرداً خلف أذني، وقال:

– «حسناً، كنت سألتقطك يا دينا، لكن يبدو أننا نسقط معاً.»

رمشت نحوه، وابتسامتي تتسع:

– «حقاً؟»

أومأ ببطء:

– «حقاً.»

ضغطتُ على شفتيّ معاً، محاولة إخفاء دواري وفرحتي العارمة. سرعان ما فشلت، وبدلاً من ذلك، طبعت قبلة على شفتيه. كان من الصعب أن أفصل نفسي عنه بعد عدة ثوانٍ طالت أكثر من اللازم.

– «يجب أن أعود إلى القلعة الليلة.» تلاشت كلماتي في ضحكة مكتومة عندما لف ذراعيه حول خصري، لآسراً شفتيّ مرة أخرى. ضحكت ضد فمه، وبالكاد استطعت إخراج جملتي التالية: «لا يزال عليّ الانتهاء من...»

قاطعتني قبلة أخرى.

– «... فستان بيدن لـ...»

بادرتُ أنا بهذه القبلة.

أنهيت جملتي بابتسامة تبعث على الدوار:

– «... للحفلة الراقصة غداً.»

تمكنتُ من النزول من حِجره قبل أن يتمكن من إيقافي. وبحقيبتي القماشية المتدلية بسرعة من على كتفي، توجهتُ نحو الباب. كان ماك في أثري، لافاً ذراعيه حولي من الخلف.

ضاحكة، وضعت ذراعيّ فوق ذراعيه الملفوفتين حول خصري وقلت بابتهاج:

– «كنتُ محقة، أنت لست بنصف العبوس الذي تبدو عليه.»

شعرتُ به يعتدل خلفي ويقول:

– «أجل تباً، ماذا فعلتِ بي؟»

ضحكتُ، واستدرت لأواجهه:

– «سأراك مساء الغد.» نقرت بإصبعي في وجهه. «عند الحصن، أتتذكر؟»

ابتسم ساخراً:

– «أوه، إذن لن أنام. لا أطيق الانتظار.»

قلبتُ عينيّ قبل أن أقف على أطراف أصابع قدميّ لأطبع قبلة سريعة على خده. ابتسم بعذوبة، ليذوب مظهره الخارجي البارد في غضون لحظات.

عندما رفع فجأة حافة قميصه نحو وجهي، فتحت فمي لأطرح سؤالاً كان يجيب عليه بالفعل:

– «هناك رماد على وجهكِ يا عزيزتي. قد يكون ذلك خطئي.»

ابتسمتُ متأملة وجهه حتى انتهى من تنظيف بشرتي. ثم قبلته قبلة الوداع، ناعمة ورقيقة.

همستُ:

– «سأراك قريباً.»

– «أنا أعد الساعات يا دينا.»

الفصل 17

أدينا

ذراعاي تتوشحان بالظلام.

ينسكب القماش الأسود على يدي وأنا أهرع خارجة من غرفة الخياطة. أبتسم ناظرةً إلى الثوب الحريري، عاجزة عن احتواء دوار بهجتي عند رؤيته.

قد يكون هذا أجمل إبداعاتي حتى الآن، ولا أستطيع التفكير في شخص أكثر جمالاً ليمنحه حقه.

تعج الأروقة بالخدم، يستعدون جميعاً للحفلة الراقصة الأخيرة التي باتت وشيكة جداً. ومع وضع ذلك في الاعتبار، أسرع من خطواتي، متفادية موكباً من الإمبراطوريين المتجهين نحو قاعة الرقص.

لم أكن هناك في تلك الحفلة الأولى – ولا الثانية في الواقع – نظراً لأنني كنت متدثرة مع ماك في الحصن. لكنني سمعت عن الهجوم رغم ذلك. ومنذ ذلك الحين، زادت أعداد الإمبراطوريين الذين يجوبون المكان بشكل كبير. أرتجف رغم الشعور الإضافي بالأمان الذي يوفرونه.

تخفف السجادة الوثيرة من وطأة خطواتي، وفجأة يشتت انتباهي ملمسها. لا يسعني إلا أن أتخيل مدى استحالة إيقاظ بيدن لو كانت السجادة تحت حصننا مريحة هكذا. لكن إذا تمكنت من الفوز في هذه التصفيات، فإن أول ما سنفعله هو العثور على شيء بنفس النعومة...

تصطدم ذراعاي بشخص صلب للغاية.

ترتفع عيناي عن الأرض، لألتقي بنظرة مشتتة بالقدر ذاته تعلو وجهي. إنها رمادية وعاصفة، و– فليساعدني الطاعون – إنها تخص الأمير كاي.

أتعثر في انحناءة سريعة، وأضم الثوب الحريري إلى صدري قبل أن تسنح له الفرصة للانزلاق من بين كفيّ المتعرقتين.

قلت:

– «الأمير كاي! لم أرك حتى! هذه السجادة تشتت الانتباه بشكل فظيع.»

لمرة واحدة، أطبق فمي قبل أن أتسبب في المزيد من الضرر. وعندما ترتفع نظراتي أخيراً عن سترته السوداء، أشعر بالارتياح لرؤية تعبير مستمتع على وجهه.

بحق الطاعون، إنه وسيم.

آمل ألا يلاحظ هزة رأسي الفعلية وأنا أحاول طرد الفكرة منه. لأنني أمتلك فتى وسيماً خاصاً بي. رغم أنني أستطيع الاعتراف بأن بيدن امرأة محظوظة جداً.

ترتفع زاوية فمه قائلاً:

– «لابد أنكِ أدينا.»

أجبته، والحيرة تُلوي الكلمة في هيئة سؤال:

– «نعم؟ كيف...»

تنحيت جانباً لأفسح المجال لخادم مسرع وتابعت:

– «كيف عرفت ذلك؟»

قال ممرراً عينيه الرماديتين على القماش المتدلي بين ذراعيّ:

– «حسناً، هناك فتاة واحدة فقط في هذه القلعة تملك من الجرأة ما يكفي لارتداء أي لون غير الأخضر في حفلة الليلة. وهذا يجعلكِ خياطتها من ‹حي النشّالين›.»

رمشتُ وأنا أنظر إليه:

– «أمم، نعم، هذا صحيح.»

ثم أضفتُ بابتسامة:

– «أنت شديد الملاحظة حقاً!»

انتقلت نظراته بسرعة فوق القماش:

– «لقد كنت أمضي الكثير من الوقت مع صديقتكِ المتبصرة.»

عضضتُ على لساني.

من الغريب للغاية أن أكون شريكة في الخدعة التي يصدقها الجميع. لكنني ابتسمتُ له رغم ذلك، فخورة بحفظ سر بيدن.

قلت بعينين متسعتين:

– «أوه، أنا أعلم. أقصد، هذا رائع لسماعه يا صاحب السمو!»

ظهرت تلك الابتسامة المتكلفة الطفيفة مرة أخرى:

– «لقد اختارت الأسود لليلة إذن.»

اختلستُ النظر إلى الثوب:

– «لقد فعلت بالتأكيد. وليس لدي أدنى شك في أنها ستبدو مذهلة.»

قال بسلاسة:

– «ولا أنا أيضاً. من المؤكد أنها ستخطف الأنظار، رغم أن ذلك ليس مفاجئاً.»

رمقته عن كثب، وانتقيت كلماتي بعناية. لمرة واحدة.

– «إذن، أنت لا تمانع في أنها لن ترتدي الأخضر؟»

بالكاد توقف للتفكير في سؤالي:

– «بالطبع. لا أريد لها أن تندمج وتضيع وسط الحشود.»

رفعت ابتسامة صغيرة شفتيّ وأنا أتأمل المنفذ المستقبلي. إنه بالتأكيد ليس كشقيقه. لا، يبدو أن كاي يفضل أن تترك بيدن بصمة. أن تبرز.

وهكذا ببساطة، حسمتُ أمري بشأن الأمير الوسيم الذي سأشجعه. لأن كاي هو قدر بيدن، مهما كانت قصتهما مأساوية. ومهما كانت أدوارهما المتناقضة في هذه الحياة. لكن ربما تختلف الأمور في الحياة القادمة.

قلت بهدوء:

– «يسعدني سماع ذلك.»

كان يشمّر أكمام سترته بإهمال وهو يسأل:

– «لماذا شتتكِ؟»

– «عفواً؟»

أومأ نحو قدمينا:

– «السجادة.»

– «أوه!»

هززت كتفيّ، وأنا أصارع لاختيار الكلمات التي أرغب في قولها:

– «كنت أحاول حفظ ملمسها تحت قدميّ. حتى نتمكن أنا وبيدن من الحصول على سجادة وثيرة كهذه لحصننا.»

عبرت عاطفة ما على وجهه، رغم أنني لم أتمكن من فك شفرتها. رفرفت الرموش الداكنة التي تحد عينيه الفاتحتين، وللحظة، بدا وكأنه قد يقول شيئاً. لكن بدلاً من ذلك، تراجع خطوة إلى الوراء، منهياً محادثتنا بحركة واحدة.

وأومأ باقتضاب قائلاً:

– «أتمنى أن تجدا تلك السجادة.»

ثم استدار، ملقياً ابتسامة متكلفة من فوق كتفه:

– «ستصلين إلى غرفتها بشكل أسرع بكثير إذا اخترقتِ الجدار عبر قدرتكِ كعابرة (فايزر). صدقيني، لقد فعلت ذلك مرات عديدة.»

وبهذه الكلمات، سار المنفذ بخطوات واسعة عبر الردهة المزدحمة، بينما يتنحى الإمبراطوريون جانباً لإفساح الطريق له.

رمشتُ بعينيّ مذهولة وأنا أحدق في ظهره. أصبح من الصعب فجأة أن أبتلع ريقي.

كيف أمكنني أن أنسى حقيقته؟

لقد قابلت للتو نظير ماك. الرجل الذي يمكنه أن يأمر بقتله في لحظة. كل هذا لأنهما يمتلكان القوة ذاتها. وبدا وكأنها تتدفق من الأمير في أمواج – متناقضة تماماً مع المستحوذ (ويلدر) المختبئ في ‹حي النشّالين›. رغم أنهما أعطياني شعوراً مألوفاً بشكل مخيف، وكلاهما ينذران بالخطر بطرقهما الخاصة.

هززت رأسي، وعقلي يطن وأنا أستأنف رحلتي في الردهة الصاخبة مرة أخرى، لكنني توقفت فجأة عند رؤية الجدار بجواري.

لا ضير من الأخذ بنصيحته.

بخطوي إلى الجانب الآخر من الجدار، وجدت غرفة نومها تنتظرني على بُعد خطوات قليلة. تنهدت بارتياح عندما فتحت باب غرفتها أخيراً على مصراعيه وصرخت:

– «بيدن، آمل أن تكوني مستعدة لكل هذا الاهتمام الذي ستحظين به بهذا الفستان!»

أطلت برأسها من خلف ستار تغيير الملابس، وشعرها الفضي يتمايل مع حركتها:

– «آمل حقاً أنكِ تبالغين.»

أسرعتُ إلى حيث تختبئ، لأجد إيلي محبطة من كمية الشعر التي تضطر للتعامل معها. لكن هذه مشكلة متكررة لا أشعر بالحاجة للقلق بشأنها. بدلاً من ذلك، فردتُ الفستان وعرضته أمام جسدي.

قلت بابتسامة مغرورة:

– «أخبريني أنتِ. هل تعتقدين أن هذا سيجعل حتى أفراد العائلة المالكة يحدقون بكِ؟ خاصة أحدهم بالتحديد؟»

حملقت بيدن في الثوب أمامها، وعيناها المكحلتان تتفحصانه من أعلاه إلى أسفله:

– «أخشى أنه سيفعل.»

هززت كتفيّ برضا:

– «ممتاز! إذن لقد أديت عملي جيداً.»

سخرت بيدن، رغم نظرة الانبهار التي أضاءت وجهها:

– «أدينا، ربما تكونين قد أديتِ عملكِ بشكل جيد أكثر من اللازم.»

قلتُ بحالمية:

– «لماذا، هل أنتِ قلقة من أن يخر أمير معين على ركبتيه بمجرد رؤيتكِ؟»

توردت وجنتا بيدن حتى وهي تعقد ذراعيها وتقول:

– «ليس لدي أدنى فكرة عما تتحدثين عنه يا أدينا.»

نقرتُ بإصبعي على شفتيّ:

– «همم. حسناً، اسمه على وزن "آي" (عين)...»

تدخلت إيلي بصوت خافت:

– «وعلى وزن "غاي".» *(شاب)*

تهلل وجهي:

– «أوه، وربما أكون قد تحدثت إليه للتو في الردهة.»

استدارت بسرعة كبيرة لدرجة أنني كدت أستنشق فماً مليئاً بالشعر الفضي.

– «لم تفعلي.»

تنهدتُ، مبتسمة بسعادة غامرة:

– «لقد فعلت.»

قالت بضيق:

– «وعمّ عساكما تتحدثان؟»

– «همم، دعيني أفكر. ما هي الاهتمامات المشتركة التي قد تجمعنا؟»

ابتسمتُ بخبث وتابعت:

– «أوه، هذا صحيح. أنتِ!»

ضحكت إيلي بخفوت بينما كتمت بيدن تأوهاً:

– «بحق الطاعون، ربما أفضل ألا أعرف.»

تابعتُ على أي حال:

– «حسناً، لكي أختصر الأمر برمته، لقد وافقني الرأي بأنكِ ستبدين مذهلة الليلة. وأنه سيرغب بالتأكيد في الرقص معكِ.»

زممتُ شفتيّ. هذه الكلمات لم تخرج من فمه حرفياً، لكن بيدن لا تحتاج إلى معرفة ذلك. وعلاوة على ذلك، أنا متأكدة أنه كان يفكر فيها.

تنهدت بيدن، وهي تدير ذلك الخاتم في إبهامها بلا توقف:

– «لا تذكريني.»

عبستُ سائلة:

– «هل حدث شيء ما؟»

ضحكت بلا مرح:

– «حدثت أشياء كثيرة.»

ساعدتها في خلع ما تبقى من ملابسها قبل أن تخطو داخل الفستان، وقلتُ بتلهف لكل تفصيلة:

– «أوه، أخبريني إذن.»

مررت ذراعيها عبر الأكمام الرقيقة التي تدلت بوهن حول ذراعها. وبدا صوتها منهكاً وهي تقول:

– «هل يمكنني إخبارك بكل شيء بعد التصفية يا أدينا؟ ما زلت أحاول استيعاب الأمر برمته بنفسي.»

ساعدتها في سحب المشد لأعلى:

– «بالطبع يا بيدي. تحتاجين إلى التركيز على التصفية.»

قلت هذا لأخفف من وخز ضميري. فلم أخبرها بعد بأمر ماك وكل لحظة أمضيتها معه. إنها تعرف ميلي إلى التعثر في الحب، ومع ذلك، ستكون من أواخر من يعلمون بالأمر.

ابتسمت بيدن، وبدت مرتاحة:

– «شكراً يا أدينا.»

– «لا تشكريني بعد.» لوحتُ بإصبعي، مشيرة لها بالاستدارة. «لم أقم بشد المشد بعد.»

تمتمت:

– «بحق الطاعون. لو كان هذا الفستان أقل جمالاً ولو بقليل، لكنت توسلتُ ألا أرتديه.»

مازحتها:

– «أوه، أرجوكِ. أنتِ تعشقين التأنق، حتى لو لم تعترفي بذلك. أليس هذا صحيحاً يا إيلي؟»

ترددت إيلي:

– «أقصد... يبدو أنكِ تستمتعين بذلك حقاً...»

قُطعت سخرية بيدن عندما سحبتُ أربطة المشد.

– «حسناً، أنا بالتأكيد وبحق الجحيم لا أستمتع بعجزي عن التنفس.»

حاولتُ كتم ضحكتي وأنا أقول:

– «لكنكِ تخطفين الأنفاس. حرفياً.»

شهقت:

– «أعتقد أنكِ تستمتعين بهذا أكثر من اللازم يا أدينا.»

شددتُ الأربطة، مما انتزع تأوهاً من بيدن وقلت:

– «قد تكون هذه فرصتي الأخيرة لتزييني. لذا لا ضير من استغلالها!»

بعد الكثير من التوسلات من بيدن، ربطت أربطة مشدها أخيراً وأدرتها لأتأمل صنيع يدي. كان معظم الجزء العلوي شفافاً، ليبرز بشرتها السمراء تحت الخرز والأنماط الدوامية التي تزين المشد. كانت الأكمام رقيقة ومصممة للزينة البحتة، إذ لم تكن ترفع الفستان بأي شكل من الأشكال من حيث تتدلى عن كتفيها.

تفحصت عيناي التنورة المنسدلة والفتحات المتطابقة على كلا الجانبين. وبينما كنت أفعل ذلك، أزاحت بيدن القماش لتربط خنجرها الفضي عالياً على فخذها. ثم اعتدلت، ووقفت أمام إيلي وأمامي لنفحصها.

– «إذن؟ ما رأيكما؟»

تنفست إيلي بابتسامة:

– «تبدين جميلة يا بيدن.»

وخزت دموع غير مرغوب فيها عينيّ إزاء المشهد الماثل أمامي.

– «تبدين خطيرة. ولكن بأكثر الطرق أناقة.»

بدت وكأنها تذوب عند سماع كلماتي:

– «قد يكون هذا أفضل إطراء تلقيته على الإطلاق.»

تنهدت إيلي:

– «يجب أن تتوجهي إلى قاعة الرقص قريباً، وما زال ليس لدي أدنى فكرة عما سأفعله بشعرك.»

اقترحتُ:

– «شيء بسيط. ربما ترفعينه لأعلى؟ أريد رؤية عظام ترقوتها تلك.»

لبت إيلي طلبي، وربطت شعر بيدن في عقدة فضفاضة خلف رقبتها، تاركة بعض الخصلات تتساقط حول وجهها بحرية.

شبكت كفيّ أمامي، متهللة الوجه أمام النتيجة النهائية:

– «رائع! اذهبي الآن قبل أن تتأخري!»

ضحكت بيدن بخفة، ومدت يدها لتعصر يديّ.

– «شكراً يا أدينا. لا أستطيع أن أصف لكِ مدى إعجابي بكل فستان صنعتِه لي.»

قلتُ بمكر:

– «كنت أعلم أنكِ تحبينها. وتحبينني أنا أيضاً بالطبع.»

ابتسمت ابتسامة عريضة:

– «وأحبكِ. بالطبع.»

تلاشت ابتسامتي فجأة لتتحول إلى شيء أكثر جدية:

– «عِديني بأنكِ ستعودين إليّ سالمة بعد هذه التصفية؟»

غمغمت بصدق:

– «أعدكِ بأنني سأبذل قصارى جهدي. مجرد واحدة أخرى، وأصبح حرة. نصبح نحن حرتين.»

ارتفعت شفتاي في ابتسامة غير متوقعة:

– «سأشجعكِ طوال الوقت يا بيدي.»

تأملنا بعضنا البعض للحظة طويلة قبل أن أبدأ في دفعها نحو الباب:

– «حسناً، اذهبي وارقصي مع أميرك!»

نادت ملقية بابتسامة من فوق كتفها قبل أن تختفي في الردهة:

– «لن أفعل إن كان بيدي حيلة!»

التفتت إيلي لمواجهتي بمجرد خروجها من الباب وسألت:

– «هل أنتِ ذاهبة لرؤية فتاكِ؟»

تهلل وجهي:

– «بالتأكيد.»

جمعت حقيبتي القماشية، وتوجهت بخطوات واسعة نحو الباب بابتسامة غامرة بالسعادة وتابعت:

– «سأعود من أجل التصفية غداً، لا تقلقي. رغم أنني لست متأكدة من مدى قدرتي على تحمل المشاهدة.»

بعد أن بادلت إيلي تلوحيتها للوداع، خرجت إلى الردهة وكتمت الرغبة في التخطي من فرط الحماس. كنت أطن ترقباً لليلتنا في الحصن و...

وإذا بشخص يعترض طريقي.

كان خادماً. شاباً خجولاً وينظر إليّ بتردد.

صرختُ:

– «أوه! مرحباً بك.»

لكنه لم يبادلني تهذيبي. لا، بل قدم لي فقط جملة واحدة محفوظة عن ظهر قلب:

– «لقد طلب الملك التحدث إليكِ هذا المساء.»

الفصل 18

ماكرتو

أنا سعيد بشكل مذهل وأنا أتجه نحو الحصن.

لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة كنت فيها بهذه السعادة، حتى مع هيرا.

هيرا.

يبدو من الخطأ أن أستمتع بالحياة وهي لم تعد جزءاً منها، لكنني ما زلت أبكيها كل يوم، وبكل طريقة ممكنة. أراها في الوجوه المبتسمة على طول الشارع، وأتذكر كيف كانت حيلها السحرية سبباً لضحكات الأطفال وانبهار الآباء. أسمعها في شحذ نصل لفرط ما كانت تتوسل إليّ لأسمح لها بالقيام بذلك عندما كنا صغاراً. أشم رائحتها في المطر، في عاصفة تتشكل.

إنها حولي في كل مكان، ومع ذلك، لا أثر لها.

أمارس حدادي وحدي. بصمت. رغم أنني سمحت لنفسي بليلة واحدة لانهار فيها بين ذراعي أدينا.

لكن هيرا أصبحت على الأرجح في طي النسيان بالنسبة للناس، مجرد ضحية أخرى للتصفيات التي لم تكن لديها أي فرصة للفوز بها. أحاول ألا أفكر في الدور الذي لعبته في وفاتها أو في محاولتي الفاشلة لإنقاذها.

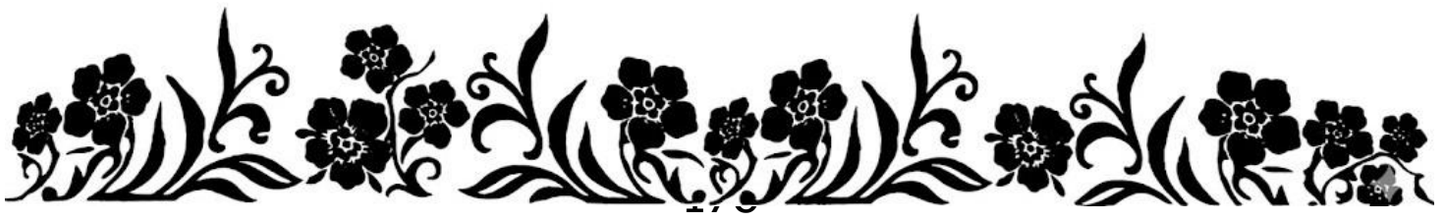

إنه يؤلمني كثيراً. أن أفكر بأنني أضعت حريتها هباءً. حريتنا نحن الاثنان.

لا يمكنني المغادرة أبداً الآن. ليس وأدينا لا تزال هنا.

أشق طريقي بمرفقي عبر الشارع المزدحم الذي بدأ يغلق أبوابه استعداداً للمساء. تملأ أذني شظايا من أحاديث مملة وأنا أتجه نحو تلك النهاية المسدودة المألوفة.

لا يسعني إلا أن أبتسم عند رؤية لافتتها الملونة وهي تلوح مرحبة بي. شيء ما فيها يشبهها تماماً. يبعث على الراحة. بريء وحلو.

رغم أنها بالتأكيد لم تقبلني بتلك الطريقة.

حسناً، ربما_في البداية فعلت. لكنها سرعان ما لبت مطلبي.

كانت الطريقة التي تحرك بها فمها ضد فمي منومة مغناطيسياً. ولو كانت قد طلبت مني أي شيء_في تلك اللحظة، أخشى أنه لم يكن ليكون لدي خيار سوى تنفيذه.

متخطياً الحاجز، اتخذت مقعدي على جانبي المستعار من السجادة. أشعر بأنني أزداد قذارة مع كل ثانية. لا داعي لقلق بيدن بشأن سرقتي لمكانها بشكل دائم.

قادتني هذه الفكرة إلى أخرى، وفجأة تساءلت عما إذا كانت أدينا قد أخبرت أعز صديقاتها عني أصلاً. لكن سرعان ما تطورت تلك الفكرة إلى أخرى أكثر إزعاجاً: ماذا لو كانت أدينا قد أخبرت صديقتها المفضلة عني بالفعل؟ عن قوتي. والمملكة بأكملها تضج بأحاديث عن مدى التقارب بين المتسابقة والمنفذ المستقبلي طوال فترة هذه التصفيات. ولن يتطلب الأمر سوى زلة لسان واحدة منها ليعرف الأمير حقيقتي...

أنفض عني سلسلة الأفكار المزعجة المتزايدة. لقد تأكدتُ من أن دينا كاتمة أسرار عظيمة. رغم أنني لا أملك أي مصادر لدعم هذا الادعاء.

تململتُ على السجادة، باذلاً قصارى جهدي ألا ألمس شيئاً. وبانتظار وصول أدينا بفارغ الصبر، سحبت الصندوق الرفيع من أحد الجيوب العديدة

في السترة التي صنعتها. انزلق الغطاء بسهولة، ليسمح لي بتأمل ما يقبع بداخله.

كانت الإبرة أكبر بقليل من تلك التي رأيتها تطعن بها كل إصبع من أصابعها. يلمع الفضة فيها، حتى في الضوء الخافت. بالكاد استطعت تمييز تصاميم أنصاف الأقمار المعقدة المنحوتة على طولها.

لم أقدم هدية لأي شخص من قبل. ليس كهذه، على أي حال.

ليس شيئاً مليئاً بالعاطفة، يُقدم بدافع الرغبة لا بدافع الضرورة.

وهذه هي الحقيقة المروعة في الأمر. أنا أريدها.

ماذا أسمت ذلك؟ التعثر؟

حدقتُ في الإبرة اللامعة، وكأنها قادرة على استدعائها إلى الزقاق وإلى ذراعيّ المنتظرتين. لأنني، في مكان ما على طول الطريق، بدأتُ في التعثر نحوها. والآن لا يوجد ما يوقف اندفاعي العنيف.

يمضي الوقت ببطء، ليغرق الزقاق في الظلام. غطيتُ هديتي لها، ووضعتها بأمان في جيبي مرة أخرى. تثاقلت جفوني بينما كان ظهري مسنداً إلى الجدار المتسخ.

أين هي؟

أشك في أنها ستفوت ليلتنا في الحصن إلا لضرورة قصوى. من المرجح أنها انشغلت مع بيدن. ربما أُجبرت على المساعدة في حالة طوارئ تخص الأزياء.

أبتسم عند هذه الفكرة. لابد أنها تقضي وقتاً ممتعاً للغاية في إخبار الناس بما يجب أن يرتدوه وكيفية ارتدائه.

تنهدت، جامعاً ساقيّ تحتي لانهض.

لقد انشغلت، أنا متأكد من ذلك. وستعتذر لي بشدة لقيامها ببساطة بعملها. وسأخبرها أنها مدينة لي بقبلة. ربما اثنتين. ربما دستة.

على الجانب المشرق، لن أضطر للنوم في الحصن.

خطوتُ خارجاً إلى الشارع المهجور، وبدأت أشق طريقي عائداً إلى المتجر. لمحت منشوراً معوجاً يزين جداراً قريباً وكافحت لقراءته في الظلام.

لم يكن مفاجئاً لأحد أنه يتعلق بالتصفية النهائية التي ستجرى غداً. قلبت عينيّ بمرارة، مستعداً للاستمتاع بخمس سنوات من النعيم قبل أن تعود هذه التصفيات لتطاردنا مرة أخرى.

تعثرت عيناي بالجملة الكبيرة المكتوبة في منتصف المنشور تماماً.

«ستُقام التصفية النهائية لهذا العام في حلبة ‹الصحن› – الجميع مرحب بهم ويُشجعون على المشاهدة.»

الآن، لن يعني هذا أي شيء لو كان أي عام آخر. تُقام التصفيات عادة في حلبة ‹الصحن› لترفيه المملكة. لكن هذا العام كان مختلفاً. هذا العام، لم يتنافسوا بعد داخل الحلبة.

كدتُ أتجاهل الأمر لولا أنني تذكرت مَن سيكون هناك.

أدينا.

ستكون في تلك المدرجات، تراقب أعز صديقاتها من بين الأصابع التي تغطي عينيها. لم أجرؤ يوماً على دخول الحلبة لأي تصفية في الماضي، لكنني أيضاً لم أكن أمتلكها هي من قبل.

يمكنني مفاجأتها. الجلوس معها. التخفيف عنها.

إنه أمر خطير، لكنه من أجل دينا.

سأرافقها سيراً للعودة إلى الحصن – وهذا وحده سيكون مفاجأة. ثم سأعطيها الهدية التي لا تزال بأمان في جيبي. ستصرخ بفرح، وسأبتسم، من أجلها فقط.

انعطفت نحو الزقاق الذي يؤدي إلى متجري عندما هددت ابتسامة بارتفاع شفتيّ.

لأنه، وللمرة الأولى في حياتي، أنا متحمس للذهاب إلى تصفية.

الفصل 19

أدينا

قد *لا أراه أبداً مرة أخرى.*

لن أرى أبداً تلك الابتسامة التي تتسلل عندما نكون معاً. ولن أرى أبداً تلك السترة التي تعانقه بإحكام، تماماً كما أتمنى أن أفعل أنا الآن. ولن أرى أبداً تلك الخصلة الفضية من الشعر التي أجدها تبعث على الراحة الشديدة.

لن أرى أبداً ما إذا كنا سنتعثر في الحب معاً.

لكن، والأسوأ من ذلك كله، قد لا أتمكن أبداً من الاعتذار لتفويت موعدنا في الحصن.

الجو بارد في الدُجَن.

أفترض أن هذا متوقع. لم أكن أخطط لتجربة ذلك بنفسي في أي وقت قريب.

يجعلني الجدار الرطب المضغوط على ظهري أتمنى لو كنت أرتدي سترة صوفية عندما استدعاني الملك. أو ربما سترتي المفتوحة ذات الحواف المصنوعة من الدانتيل. رغم أنني كنت سأكره ارتداءها للمرة الأولى إلى الدجن، حيث لا يوجد أحد سوى إمبراطوري يمر بين الحين والآخر ليعجب بصنيع يدي.

أغمضت عينيّ هرباً من الضوء الوحيد الوامض خلف قضباني، وأسندت صدغي النابض بالألم إلى الجدار الحجري. كانت معدتي ثرثارة أكثر من أي شخص هنا، تزمجر مع جوعي المتزايد. فتحت عيناً واحدة لأختلس النظر إلى الخبز الجاف الملقى بإهمال في زاوية زنزانتي. وبعد أن جفلت لمجرد التفكير في الحركة، عضضت بشراسة على لساني وأنا أزحف مقتربة منه. جعلت الأصفاد المطبقة حول كاحليّ عينيّ تدمعان، والجلد يتمزق كقماش رقيق. لقد فرك المعدن الصدئ بشرتي حتى سلخها، تاركاً بثوراً حمراء غاضبة تحتها.

أخذت نفساً مرتعشاً، ومددت يدي نحو الخبز.

أعرف ما سأراه. بل إنني أغمضت عينيّ بقوة لتأخير المحتوم، لأتظاهر بأن هذا كله مجرد كابوس ستوقظني منه بيدن. لأنها دائماً ما كانت تفعل ذلك. كانت تجد دائماً طريقة لدرء الخوف، ولتكون قوية بما يكفي لكلينا. كنت لأشعر بلمسات أصابعها على الغرة غير المستوية التي جعلتها تقصها لي، وكانت تلك اللمسة المهدئة تكفي لانتشالي من أحلامي. ثم كنا لنجلس ورأسي مستريح على كتفها، نحدق في النجوم حتى تذوب في الصباح.

لكن هذا ليس الحصن. ولا يوجد نجوم في الأفق أو أكتاف لأسند رأسي النابض بالألم عليها. أنا مستيقظة تماماً، وأفتح عينيّ و...

جعلني مشهد أصابعي أبتلع شهقة بكاء. تمنيت لو أنهم قيدوا يديّ خلف ظهري، فقط لكيلا أتمكن من النظر إليهما.

لست متأكدة من سبب قيامهم بذلك. أو الأهم من ذلك، سبب وجودي هنا في المقام الأول.

صرختُ عندما بدأوا في كسر أصابعي، وتوسلت رغم الألم، ورجوتهم أن يبقوا على الشيء الوحيد الذي أحببت العيش من أجله. أصابعي هي حرفتي، وراحتي، ورابطي بالماضي الذي تمكنت من النجاة منه.

ثم بكيت.

كان أشبه بحداد صامت في البداية، دموع تتسرب من خلف جفون مغمضة بقوة. لكن تماسكي لم يكن أبداً شيئاً يُفتخر به. ولم يمر وقت طويل حتى كنت أنتحب على صوت عظامي المحطمة وأحلامي المكسورة.

لم أدرك أنني أبكي إلا عندما أصبحت يدي الممدودة ضبابية. مرة أخرى. يبدو أن هذا هو كل ما فعلته منذ أن أمر الملك برمْيي هنا. لماذا كان ذلك مجدداً؟ ما زلت لم أحل هذا اللغز بعد. رغم أنني كنت مشغولة نوعاً ما.

شهقت، واشرأببت بجسدي نحو الخبز، ساحبة نفساً عندما اشتدت السلاسل حول كاحليّ. الألم الناجم عن كل هذا لا يُطاق. أنا لست مثل بيدن. لست معتادة على أن أتألم بشدة هكذا. أنا معتادة على الأصابع الموخوزة والأيدي المؤلمة، وليس الجسد المتألم والعظام المكسورة.

زفرت، وسقطت بوهن على الجدار.

الأمر ليس جللاً حقاً. أنا معتادة على الجوع. في الواقع، أنا لا أريد الخبز الجاف حتى.

احتجت معدتي. بصوت عالٍ جداً.

كدت أذكرها بأننا عانينا لفترة أطول بدون طعام، وبأن تتوقف عن الدراما، عندما بدأت الظلال تتحدث. يا له من أمر غريب حقاً.

– «هل يمكنكِ خفض الصوت هناك؟ أنا أحاول النوم.»

جفلت من الصوت الخشن وحدقت بعينيّ في الزنزانة المجاورة لي:

– «أ-أنا لم أقل شيئاً.»

كان صوتي أجش، خشناً كالصوف.

تذمر الرجل:

– «نعم، حسناً، من الواضح بحق الجحيم أن معدتكِ لديها الكثير لتقوله.»

تنهدتُ:

– «نعم. كلي ثرثارة جداً.»

تتبعت عيناي الملامح الباهتة لشخصية منطوية في الزاوية المتصلة بزنزانتي، الزاوية الأقرب إلى ذلك الخبز اللعين. وربما يكون قادراً على الوصول إليه من أجلي. بدأتُ بمرح:

– «سأخبرك بشيء. إذا رميت لي ذلك الخبز، فستهدأ معدتي. وهكذا، سنحصل كلانا على ما نريده. سأكل أنا، وتنام أنت.»

بدا وكأنه يجد هذا مضحكاً. بافتراض، بالطبع، أن الضجيج الصادر منه كان ضحكة.

– «أوه، حقاً؟ وكيف تعرفين أنني لن آخذ الخبز لنفسي وحسب؟»

– «حسناً، هل أنت هنا لكونك لصاً؟»

– «لا. لشيء أسوأ.»

قلت بخفة:

– «إذن سأخاطر. يبدو أنه ليس لديك خبرة في السرقة.»

أصدر هذا الضجيج مرة أخرى، والذي أفترض أنه ضحكة. ثم بدأ في التحرك، ودفع أصابعه العظمية بين القضبان بحثاً عن خبزي. وبعد أن تمكن من الإمساك به، ألقى الرغيف إليّ مع همهمة خشنة. تدحرج الرغيف، ليتوقف عندما اصطدم بساقي.

ابتسمتُ للظلال:

– «أرأيت، أنت لست لصاً. شكراً لك.»

تعثرت كلماتي عند رؤية أصابعي. ملتوية ومكسورة وعديمة الفائدة. الألم يشل الحركة.

وضعت كفاً فوق الرغيف، وأنا أجفل من الضغط. وبعد لحظة، استجمعت شجاعتي لضغط الخبز بين كلتا يدي ومحاولة رفعه نحو فمي. انزلقت الدموع على وجنتيّ. لكنني أخذت قضمة. وأخرى. كل واحدة منها جافة ومالحة بدموعي.

سأل الصوت، قاطعاً الشهقات التي كنت أبتلعها مع الخبز:

– «ماذا فعلتِ يا صغيرة؟»

شهقتُ مجيبة:

– «أنا... أنا خياطة. أـأنا كنت خياطة.»

رفعت شبح ابتسامة شفتيّ.

– «‹حي النشّالين› بحاجة إلى كل المساعدة الممكنة ـفي مجال الأزياء. كان لدي عملي الصغير الخاص. أعز صديقاتي – إنها ـفي الواقع ـفي التصفيات، كما تعلم. حسناً،» عبست، «أفترض أنك لا تعرف إذا كنت قابعاً هنا ـفي الأسفل. على أي حال، كانت تحضر لي القماش، وأنا أخيط الملابس. بالطبع، كنت أحرص دائماً على أن تكون لها الأولوية ـفي أي شيء أصنعه. أوه، ولكنني صممت لها هذه السترة بكل هذه الجيوب، لأن، حسناً، دَعنا نقل فقط إنها كانت تملك خبرة ـفي السرقة...»

قاطعني ويبدو عليه الانزعاج:

– «لا، يا صغيرة. تباً، أنتِ تثرثرين كثيراً حقاً، أليس كذلك؟ قصدت، ماذا فعلتِ لينتهي بكِ المطاف هنا بالأسفل؟»

– «أوه. أمم. تخمينك جيد كتخميني،»

قلت ذلك وأنا أعاني لابتلاع الخبز القاسي بين أسناني.

– «حسناً، لقد حاولت سرقة شيء ما ذات مرة. ولم ينتهِ الأمر على خير. لا تزال بيدن مصدومة من كوني لصة سيئة للغاية رغم كوني عابرة (فايزر).»

حاولت أخذ قضمة أخرى من الرغيف وتابعت:

– «دائماً ما تقول إنها لو كانت تستطيع المشي عبر الجدران، فلن يوقفها شيء. وستكون غنية جداً.»

أصدر شخيراً ساخراً:

– «ماذا، أيرمونكِ هنا دون سبب؟ ليس وكأنكِ من العاديين أو ما شابه.»

جعلتني فكرة أن يكون هذا هو مصير بيدن أشعر بقلبان_في معدتي.

– «لا. لا، أنا بالتأكيد من النخبة. ليس وكأن ذلك سيساعدني_في شيء هنا.»

اختلست نظرة إلى الحجارة المحيطة بالزنازين، شاعرة بـ مادة الأصم تقمع قواي حتى لا أتمكن ببساطة من اختراق هذه القضبان.

بدا شيء فيه جاداً فجأة:

– «أتساءل عما سيفعلونه بكِ.»

رفعت يديّ لكي يراهما:

– «حسناً، ليس هناك ما هو أسوأ بكثير مما يمكنهم فعله.»

قال بخشونة:

– «أجل. لقد سمعت حدوث ذلك.»

قلت بفتور:

– «آسفة لإبقائك مستيقظاً إذن.»

ضحك مكتوماً عند سماع ذلك، مما جعلني أبتسم. وسألته مع مط الكلمة:

– «إذن، ماذا فعلت لينتهي بك المطاف هنا_في الأسفل، همم؟»

استطعت أن أشعر بمراقبته لي:

– «شيء كسب لي مكاناً_في هذا الدجن. على عكسكِ.»

قلت بهدوء:

– «الناس يمكن أن تتغير.»

– «ليس أنا.»

قلت بمرح:

– «لست متأكدة من ذلك. ربما تكون مساعدة شخص غريب هي الخطوة الأولى نحو تحسين الذات.»

لا أعرف لماذا، ولكن شعرت وكأنه يبتسم:

– «ما اسمكِ يا صغيرة؟»

– «أنا أدينا. لكن أصدقائي – حسناً، صديقتي – تدعوني إيه.»

همهم رداً على ذلك. فسألته:

– «ما هو اسمك؟»

كانت نبرته اتهامية تقريباً:

– «لماذا تريدين أن تعرفي؟»

هززت كتفيّ:

– «ربما أحاول كسب صديق آخر.»

لست متأكدة لماذا ضحك على ذلك.

– «أنتِ لا تريدين أن تكوني صديقتي يا صغيرة. جميعهم ينتهي بهم المطاف موتى.»

– «حسناً، يبدو أنك بحاجة إلى المزيد إذن.»

ضحكة خشنة أخرى:

– «وجهة نظر جيدة يا صغيرة. حسناً. أنا آل.»

كررت:

– «آل؟ هل هذا اختصار لشيء ما؟»

سعل، وكاد أن يختنق:

– «لم أكن لأعرف لو كان كذلك. لم أتحدث قط مع والديّ. لقد كنت بمفردي لطالما تذكرت.»

– «همم.»

صمتُّ للحظة طويلة، مفكرة باختصار كيف أنني لم أعرف والدي قط. بدا أن صمتي أزعجه ودفعه للتحدث.

– «أجل، وليس لدي أصدقاء ليطلقوا عليّ اسماً مستعاراً.»

ابتسمتُ في اتجاهه:

– «حسناً، أصبح لديك الآن يا أدينا.»

سأل:

– «دينا؟ أليس هذا هو اسمكِ المستعار يا صغيرة؟»

– «من بيدن، نعم. أما منك، فيبدو أنك قد استقررت على "صغيرة".»

ضحك، وهو صوت أصبح يجعلني أبتسم الآن.

– «أنتِ فتاة مميزة، أتعلمين ذلك يا صغيرة؟»

رميت بقية الرغيف في اتجاهه، وراقبت يده تلتقطه بتردد.

– «شكراً لك يا أدينا. أنا...»

ترددت أصداء خطوات ثقيلة على جدران الدجن، لتغرق كلماتي.

انفتح باب زنزانتي قبل أن يبتلعني فجأة سرب من الإمبراطوريين. جذبني اثنان منهم عن الأرض، غير عابئين بأصابعي المهشمة. صرخت، محاولة حماية يديّ منهم و...

الآن أنا أختنق بشيء ما.

لقد كَمموني بما يبدو أنه قطن. أصبحت احتجاجاتي مكتومة بينما يسحبونني من الزنزانة إلى الردهة. كنت مذعورة، وعيناي متسعتان وهما تلتقيان بعيني آل عبر القضبان بجانبي. بالكاد أستطيع تمييز وجهه الآن، مزدحماً بالتجاعيد ومغطى بالقلق. هز رأسه نحوي، منكمشاً في زاويته.

كل أصدقائه ينتهي بهم المطاف موتى. وبدأت أعتقد أنني لست الاستثناء.

أشاح بوجهه عن صديقة محكوم عليها بالهلاك، وأصبح ضبابياً بينما بدأت جفوني في الرفرفة.

ثم...

ثم لا شيء.

سواد وألم يعمي البصر هما كل ما أعرفه.

الفصل 20

ماكرتر

يصطف موكب من الأجساد على طول الطريق المؤدي إلى حلبة ‹الصحن›.

تضرب الشمس رأسي المنحني، لتغرقني في العرق. نظرت حولي، ماسحاً بنظري المئات من الإيليين الذين يمشون بتثاقل من جميع الاتجاهات. يبدو أن العشوائيات بأكملها قد جاءت لترى نتيجة هذه التصفية النهائية.

أشعر بضغط كل قدرة سحرية، مما يثقل خطواتي. متبعاً التيار، اندمجت مع الأجساد المحيطة بنا وواصلت الرحلة إلى الحلبة المهيبة.

في ظل ظروف مختلفة، كنت لأمشي لأكثر من ساعة بقليل. لكن مع هذا الحشد وقدرتهم المستفزة على المشي بأبطأ ما يمكن، استغرق الأمر وقتاً أطول بكثير من ذلك.

كانت الشمس في أشد نقاطها حرقاً في السماء بحلول الوقت الذي توجهنا فيه نحو أحد الأنفاق العديدة المؤدية إلى ‹الصحن›. كانت الحلبة مكسوة بالخرسانة، وتبدو باردة ومنفرة. ترددت أصداء الأحاديث ووقع الأقدام على قنطرة النفق الذي نمشي عبره قبل أن يُلفظ بنا على الحلقة المرتفعة من الرصيف فوق أرضية الحفرة.

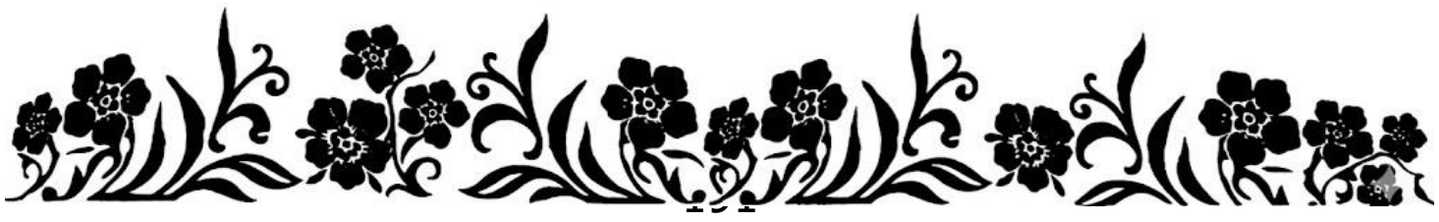

ترتفع صفوف المقاعد نحو السماء، مليئة بالآلاف من أفراد النخبة المبتهجين. الحجم الهائل لهذا المكان مرعب، ناهيك عما يحدث تحتنا_في الحفرة. متاهة عملاقة من الشجيرات المهددة تمتد عبر الرمال، محيطة بفتحة كبيرة_في مركز كل ذلك.

وقفت هناك، محدقاً بذهول_في الحلبة بينما يمر الناس بجواري بحثاً عن مقعد. حينها فقط تذكرت أنني بحاجة للعثور على مقعد خاص بي وبدأت أخطو مسرعاً على طول المسار.

– «ليس عليكم فقط أن تكونوا أول متسابق يصل إلى المنتصف...»

كان مصدر هذا الصوت المدوي يأتي من مقصورة زجاجية كبيرة_في مكان أبعد على طول المسار.

الملك.

ابتلعت ريقي، شاعراً بسنوات من الخوف تندفع صعوداً إلى حلقي المنقبض. لطالما اعتقدت أن اليوم الذي أرى فيه الملك سيكون يوم قتلي. لكن لا يزال هناك وقت لذلك.

أنهى حديثه قائلاً:

– «... بل يجب عليكم أيضاً قتل الشخص الذي ينتظركم هناك.»

كانت عيناه على الحلبة، رغم أن التفكير غير المنطقي جعلني أقلق من أن تلتقي بعيناي. لكن كلماته كانت أقل ما يزعجني. لم أكن متفاجئاً من استعداده للتضحية بمجرم من دجنه من أجل تقديم عرض جيد. أي شيء لرفع الرهانات لمتسابقيه.

تلاشى بقية خطابه بينما ركزت على العثور على الشخص الوحيد الذي أتيت من أجله. مئات القدرات تطن_في دمي، ومن الصعب قمعها بحثاً عنها. لم أمارس القدرة التي أمتلكها كثيراً، نظراً لأنني أُجبرت على إخفائها طوال حياتي. لذا ركزت على أول بصمة باهتة لعابر (فايزر) أستطيع العثور عليها.

تحطم تركيزي عندما بدأت التصفية بموجة من الصرخات وارتطام الأقدام بالأرض. راقبت المتسابقين وهم يتسابقون وسط أوراق الشجر الكثيفة نحو تلك الحلقة المركزية.

أغمضت عينيّ، وركزت مجدداً على قدرة العابر (فايزر) تلك. وهذه المرة، عندما دغدغت بشرتي، تمسكت بها.

تتبعت الإحساس بها، وعيناي تبحثان في المدرجات وأنا أتقدم في المسار. أصبحت أقوى، وأقرب مع كل خطوة.

هذا يعني، حتى لم تعد كذلك بعد الآن.

كانت القوة تطن بخفوت تحت بشرتي، ومهما مشيت في المسار، لم يبدُ أنها تزداد قوة أبداً.

وقبل أن أدرك ذلك، كنت قد درت حول الحلبة بأكملها، محاولاً بيأس إلقاء نظرة على ابتسامتها المشرقة وسط الحشد. ربما تلويحة محمومة بيديها عندما تراني قادماً.

لا شيء.

توقفت فجأة، مستديراً في المسار. زحفت الحيرة في حلقي لتهرب من فمي في شكل تنهيدة محبطة.

تمتمتُ نحو المدرجات الممتدة حولي:

– «أين أنتِ بحق الجحيم يا دينا؟»

ربما ركزت على العابر (فايزر) الخطأ. ربما لا أبحث عن أدينا خاصتي، بل عن شخص آخر تماماً.

لذا، أغمضت عينيّ مجدداً، مجبراً نفسي على التركيز. لكن هذه القوة تبدو مألوفة، حميمية. أنجذب إليها بطريقة تخبرني أنها لا يمكن أن تكون سوى هي.

وكانت تجذبني إلى اليمين.

فتحتُ عيناً واحدة، لأجد فقط الدرابزين المطل على الحفرة بجواري.
زفرت، وهززت رأسي. هناك شيء خاطئ بي بوضوح. هل تتلاعب مادة الأصم المبطنة للمدرجات بقدرتي على الشعور ببساطة بالقوى؟

حاولت مرة أخرى أن أشعر بها، لأجد نفسي ألتفت بسرعة نحو الدرابزين مرة أخرى. نظرت إلى الحفرة، ماسحاً بنظري أوراق الشجر واللقطات الحية المعروضة على الشاشات أعلاها. أخبرني وميض من الشعر الفضي أنها بيدن التي يتم تصويرها حالياً وهي تركض بين الشجيرات.

هناك ذلك الجذب مرة أخرى.

مسحت نظراتي المشهد، لتستقر على دائرة الرمال_في مركز كل شيء.
كان هناك جسد هناك. يبدو صغيراً وخائفاً بحق.

«... بل يجب عليكم أيضاً قتل الشخص الذي ينتظركم هناك.»

إذن هذا هو المجرم الذي كان سيئ الحظ بما يكفي ليُرمى من الدجن إلى مصير أسوأ بكثير.

رمشتُ محدقاً_في الشخصية.

ثم جف حلقي.

أُجبرتُ على التشبث بالدرابزين أمامي لأمنع نفسي من السقوط على ركبتيّ.

لأنني أعرف ذلك الشعر الداكن، وتلك التجعيدات التي تتراقص مع كل التفاتة مذعورة من رأسها.

أستطيع تمييز تلك الغرة المعوجة من مكاني.

ابتلع الحشد الهادر صرختي.

لقد وجدتها.

في قلب تصفية.

الفصل 21

أدينا

الجو حار_في الحفرة.

مرة أخرى، أفترض أن هذا متوقع.

أستيقظ على صوت قرع الأقدام. هتاف الآلاف يجعل أذنيّ تطنان بينما تدب الحياة ببطء_في حواسي. وبعد أن كافحت لأفتح جفوني الثقيلة، أجفل عند رؤية الشجيرات تلوح حولي.

كان الترنح للوقوف على قدميّ صعباً للغاية مع قيد معصميّ الآن خلف ظهري وتقييد كاحليّ تحتي. حملقت_في الشجيرات المحيطة بي، وابتلعت ريقي بصعوبة إزاء الأصوات القادمة من خلف أوراق الشجر الكثيفة. على الأقل لست مضطرة للنظر إلى أصابعي بعد الآن. رغم أنها تؤلمني بشدة لدرجة تجعل من المستحيل نسيان كيف تبدو. أبذل قصارى جهدي لتجاهل صورة العظام المتشققة والمفاصل المتورمة التي تومض بإصرار_في عقلي.

أنا أحلم. لابد أنني كذلك.

هذا كله مجرد كابوس. ستوقظني بيدن قريباً بأصابعها التي تبعد غرتي المتعرقة إلى الخلف. ثم سنجلس ونحدق_في النجوم من خلف حصننا. لأنني هناك. وهذا هو المكان الذي أريد أن أكون فيه.

لكن هذا ليس ذلك المكان.

هذا المكان هو رمال حارة تحت قدميّ الحافيتين وشمس تتسرب عبر الكروم فوق رأسي. هذا المكان هو جدار من المساحات الخضراء، قفص من أوراق الشجر ينطوي عليّ. هذا المكان غريب ومألوف في آن واحد.

اتسعت عيناي بالاستيعاب.

هذا المكان هو الحفرة حقاً.

لماذا أنا في الحفرة؟ لا يمكن أن أكون في الحفرة. لابد أن اليوم هو التصفية النهائية و...

هل استيقظت في التصفية النهائية؟ لا يمكن... أقصد، لماذا أكون...؟

أدرت جسدي في دائرة بطيئة، أصارع الأصفاد التي تقيد كاحليّ معاً. رأسي ينبض ألماً بسبب أي شيء كان قد أفقدني الوعي، مما جعل رؤيتي ضبابية بشكل مخيف.

الأقدام المدوية والهتافات المتزايدة هي مؤشري الوحيد على أن التصفية قد بدأت.

لذا وقفت هناك. مذهولة وساكنة وأتمنى بصمت أن يكون كل هذا في رأسي فقط.

بيدن ستجدني. ستعرف ماذا تفعل. إنها تعرف دائماً ماذا تفعل.

يتدحرج العرق على وجهي. أصابعي تنبض ألماً. رأسي يؤلمني. معدتي تزمجر. يبدو أن الوقت يتباطأ. أسمع صرخة مكتومة وأستدير في اتجاهها.

لا يمكن أن يكون هذا الرعب صادرًا عن بيدن. لا، لأنها قوية وآمنة وربما تقف خلف هذه الشجيرات تماماً، على وشك العثور عليّ.

لم يكن الصبر يوماً من الصفات التي امتلكتها.

٤٩٣.

لقد بدأت في عد الثواني من باب الملل المطلق.

ساقاي ترتجفان، وأشعر بعدم ثباتهما تحتي.

٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦...

لست متأكدة مما يُفترض أن تكون عليه هذه التصفية، لكنني متأكدة تماماً من أنني أحظى بأسوأ مقعد.

من الصعب تجاهل أصابعي النابضة بالألم، أو الفكرة الملحة بأنني أُلقيت في هذه التصفية لسبب ما.

ماذا يمكن أن يريدوا من خياطة عديمة الفائدة؟

٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣...

ستفوز بيدن بهذا. ستكون جائزتها هي العثور عليّ.

تتردد أصداء الصرخات من كل اتجاه، تهتف بأسماء لا أستطيع تمييزها.

هل يعرفون أنني هنا؟ هل يروننني أكافح للبقاء واقفة؟

يبدأ العالم في الدوران حول الثانية ٥٤٧.

فمي جاف جداً لدرجة أنني بالكاد أستطيع الابتلاع.

٥٥٢.

في أي ثانية الآن. ستنقذني في أي ثانية الآن.

تزحف زوايا رؤيتي وتضيق عليّ، مما يجعلني أشعر وكأنني أنظر من خلال نفق طويل.

أريد فقط أن أستيقظ لأتمكن من رؤية النجوم.

أنا دائخة جداً لدرجة أنني كدت لا أرى الشخصية التي تركض نحوي.

– «أدينا؟»

اخترق صوتها سديم الألم. لقد وجدتني بيدن خاصتي.

كانت تقفز نحوي، والرمال تتطاير من كعبيها. غمرني ارتياح شديد لدرجة أنني سقطت على ركبتيّ، أبتسم لشخصيتها الضبابية. صرخت محاولة الوقوف:

– «بيدن!»

لكن النظرة على وجهها جعلتني أتعثر.

لماذا تبدو منزعجة جداً؟ لقد فازت.

ربما أقلقتها باختفائي. جعلتني هذه الفكرة أنثر اعتذاراً، محاولة بجنون أن أجعلها تفهم أين كنت.

– «بيدي، أنا آسفة جداً. أنا...»

تبدو هذه الثانية أطول من كل الثواني السابقة.

هذه تبدو كالنار.

قاتلة.

كبداية النهاية.

يزهر الألم في صدري، ويحترق عبر جسدي.

آخذ وقتي وأنا أنظر إلى ما سيكون نهايتي.

رمشتُ ناظرة إلى الفرع الدموي الذي وجد طريقه عبر صدري، متسائلة بشكل غامض كيف وصل إلى هناك.

يبدو كل شيء باهتاً، مكتوماً كالصرخة التي تتمزق من حنجرة ليست حنجرتي.

تجد عيناي طريقهما ببطء إلى الفتاة التي تركض نحوي، أراقب الصرخة تتشكل على شفتيها لكنني لا أسمعها تغادرهما أبداً.

التقطتني قبل أن أصطدم بالرمال. أُحتضن في ذراعين أتمنى لو كان بإمكاني الشعور بهما. أصابع تبعد غرتي، وأتمكن من رسم ابتسامة عند هذا الشعور المألوف. إنها دائماً هناك لتوقظني من كوابيسي، لتبعد الغرة غير المستوية عن عينيّ.

أحس بالألم الذي يمزق جسدي بدلاً من الشعور به. كأن تعرف متى انكسر قلبك دون الحاجة للشعور به يتحطم.

أبقي عينيّ عليها. بيدن القوية خاصتي. إنها تخبرني أنني سأكون بخير. وأنا أعلم أنني لن أكون كذلك.

قد أكون أحتضر، لكنني لست غبية.

إنها تعدني بكعكات العسل اللزجة الآن. تقول إنها ستطعمني الكثير منها حتى أصاب بالغثيان. كلتانا تعرف أن هذه كذبة. سيموت حبي لكعكات العسل اللزجة معي.

أموت.

يا لها من كلمة سخيفة، لطالما ربطت نطقها بصباغة ألوان أقمشتي. كم هو غريب أن تختزل بضعة أحرف صغيرة نهاية وجودي.

– «... يجب أن تعديني بأنكِ ستبقين...»

كلماتها المكتومة تخترقني بقوة أكبر من الفرع البارز من صدري.

– «بيدي.» أخذت نفساً مرتعشاً وتابعت: «أنتِ تعلمين أنني لا أقطع وعوداً لا أستطيع الوفاء بها.»

لا أسمع الكثير مما تقوله بعد ذلك. دموعها تتناثر على وجهي، رغم أنني لا أستطيع الشعور بها عبر بطانية الخدر التي تخنق جسدي. إنها عنيدة كما كانت دائماً، تنكر الموت الذي من الواضح أنه قادم للمطالبة بي.

هذا هو الشيء الوحيد الذي أشعر به. مسحة أصابع الموت على وجهي، كمداعبة مهدئة. ظننت أنني سأكون خائفة منه ومن النهاية التي يجرني إليها. لكنه مريح بطريقة ما، أن أكون مدركة تماماً أن هذه هي النهاية.

– «عِديني بأنكِ سترتدينها من أجلي؟»

انزلقت الكلمات من فمي، وتبعها الدم بسرعة. ومن خلال رؤية ضبابية، أرى السؤال على وجهها أكثر مما أسمعه من شفتيها.

أخرجت الكلمة مختنقة:

– «السترة. الـ... الخضراء ذات الجيوب.»

كان الموت يسكتني، لكنني تحدثت متجاهلة إياه.

– «استغرقت الخياطة مني عصوراً، وسأكره أن يذهب كل... عـ-عملي الشاق هباءً.»

إنها آخر قطعة متبقية مني.

القطعة المادية الأخيرة من شغفي في الحياة.

لا. هناك ماك. هو شغفي في الحياة. وأنا أتمنى فقط أن يرتدي كلاهما ستراتي عندما أرحل، ليربطاهما بي إلى الأبد.

لكنني لا أقول أياً من هذا.

إنها تعد. وتتوسل. وتسحبني أقرب.

إنها طيبة جداً. لست متأكدة مما إذا كانت تعرف مدى طيبتها. وكيف أن قيمتها أكبر بكثير من أي قوة تجري أو لا تجري في عروقها.

لم أفكر فيها يوماً كأي شيء أقل من كونها استثنائية.

أصبحت جفوني ثقيلة، لكنني أجبرتها على البقاء مفتوحة.

سيكون لدي متسع من الوقت للراحة عندما أموت.

إنه أمر مسالم، أن تُسحب إلى المجهول.

لكن تركها هو أي شيء سوى ذلك.

تشبثت بأظافري ضد الموت، محتاجة للتحدث لمرة أخيرة.

– «هذا ليس وداعاً... إنها فقط طريقة جيدة لأقول وداعاً حتى أراكِ في المرة القادمة.»

وبشفاه مخدرة، تركتها مع هذه الكلمات.

أتساءل عما إذا كنت سأتمكن من مراقبتها عندما أصل إلى أي مكان يأخذني إليه الموت.

من الأفضل له أن يسمح لي بمراقبتها.

طعم الدم مرير في فمي، لكن الابتسامة التي حشدتها من أجلها حلوة.

ثم أعد.

واحد، اثنان، ثلاثة...

الموت لطيف بطريقة لم تكن عليها الحياة أبداً.

نظرتُ إلى السماء، ورأيت نجوماً تسبح في رؤيتي.

يا لها من ليلة جميلة في الحصن.

أربعة، خمسة، ستة...

أنا أعد الثواني حتى أراها في المرة القادمة.

أنا أعد النجوم حتى أرى ماك يلمع بجانبي.

تغمز النجوم لي، مرحبة بي في موطني.

وفي الثانية الثامنة، لم أعد أعرف شيئاً.

الفصل 22

ماكرتر

يتخطى قلبي عدة نبضات، متعثراً عند رؤيتها واقفة هناك_في الرمال.

لا أستطيع التنفس، لا أستطيع التفكير، لا أستطيع فعل أي شيء سوى التحديق بقلة حيلة_في جسدها البعيد جداً.

لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. أدينا هي أبعد ما يكون عن كونها مجرمة. أبعد ما يكون عن أي شخص يستحق الموت.

اقتحم إمبراطوري المكان ماراً بي، ودفع كتفي بقوة كافية لدرجة أنني أمسكت بذراعه. التفت بسرعة، والغضب يشتعل_في عينيه. لم يسبق لي أبداً أن تكبدت عناء التفاعل مع إمبراطوري، ومع ذلك هأنذا، أقبض على عضلة ذراعه وأزمجر:

– «إنها ليست مجرمة. لماذا بحق الجحيم هي هناك؟»

سخر الرجل، ودفعني بعيداً عنه. ولولا أنني كنت مهزوزاً بشدة، لما كنت على الأرجح لأسمح له بذلك.

– «أوامر الملك يا حثالة العشوائيات.»

كشر عن أسنانه فيما يعتقد أنها طريقة مهددة.

– «أمسك بي مرة أخرى وسألقيك هناك معها.»

– «حسناً، في هذه الحالة...»

أمسكت بذراعه، ولويتها للخارج بنبرة قوية انتزعت شهقة من شفتيه.

ترنح للخلف، وعيناه متسعتان بالكراهية.

– «أيها الـ...»

توقف فجأة، وخشيت الأسوأ عندما ضيقت عيناه:

– «بعد تفكير، أعتقد أنك ستتألم أكثر بكثير إذا اكتفيت بمشاهدتها وهي تموت.»

يعلو صدري ويهبط عند كلماته، وقبل أن أتمكن من فعل شيء جذري، استدار على عقبه وسار مبتعداً. تُرِكتُ أحدق في أثره، وأنفاسي مرتعشة وراحتيّ متعرقتان.

استدرت ببطء نحو الحلبة، خائفاً مما سأجده هناك. وعندما استقرت عيناي عليها، استطعت بالكاد تمييز الحبل الذي يقيد معصميها خلف ظهرها.

لكنني ركزت على أصابعها. بدت خاطئة، ومختلفة بشكل غريب عما حفظته من الساعات العديدة التي قضيتها في مشاهدتها وهي تخيط.

حدقت بعينيّ، مظللاً إياهما من الشمس المسببة للعمى.

ثم وجدت نفسي مرة أخرى أتشبث بالدرابزين طلباً للدعم.

أصابعها ملتوية، متورمة، ومكسورة خلف ظهرها.

أصابع الخياطة خاصتها. لقد كسروا أصابع الخياطة خاصتها.

سدت المشاعر حلقي، مما جعل من الصعب الابتلاع.

يداها الجميلتان تلك. تلك اليدان الجميلتان اللتان احتضنتا وجهي، وصنعتا قطعاً لا حصر لها من الملابس، وصفقتا بفرح لأصغر الأشياء.

والآن لن تفعلا ذلك أبداً مرة أخرى.

هززت رأسي، محارباً الدموع التي تتوسل للسقوط.

لا، هذا لا يحدث. لماذا يحدث هذا لها؟

برز ظل ضبابي من حافة الدائرة من بين أوراق الشجر. رمشت مبعداً الدموع التي لم تذرف، وانحنيت فوق الدرابزين، لألمح شخصية مألوفة بعض الشيء.

بيدن.

وبشكل خطير، تركت الأمل يقبض على قلبي، مجبراً إياه على النبض بالحياة من جديد.

إذا كان ما أعرفه عنها صحيحاً، فإن المنقذة الفضية لن تؤذي أبداً نصفها الآخر. ومع هذا كأملي الوحيد، راقبتها تشق طريقها عبر الرمال نحو أدينا المتعثرة.

صليت لأي شيء سيستمع. توسلت بكل أوقية من الجدية. عرضت حياتي مقابل حياتها.

ومع ذلك، يبدو أنه لم يكن هناك شيء يستمع. لم يهتم أي شيء حتى بما يكفي لسماعي، أو التفكير في توسلاتي.

لأن فرعاً اخترق ظهرها.

صرخت.

مزق الصوت حلقي حتى جرحه، وتمكن من إدارة مئات الرؤوس في اتجاهي.

لم أستطع إشاحة نظري، ولم أستطع رؤية أي شيء سوى الدم المتفتح عبر ظهرها. اخترقها الفرع مباشرة ليبرز من صدرها ومن القلب الجميل الذي ينبض هناك.

عندما اصطدمت ركبتاها بالرمال، التقت ركبتاي بالخرسانة.

انزلقت الدموع على بشرتي وأنا أراقب بيدن تسقط على الأرض بجوارها. أراقبها وهي تحتضن رأس التجعيدات ذاك، وتتشبث بجسدها المكسور.

يؤلمني ألا أحتضنها. يؤلمني قلبي وتتغيم رؤيتي. أصبح الصندوق في جيبي ثقيلاً على صدري، فوق القلب الممزق الذي ينبض تحته. لن تحظى الإبرة أبداً بمتعة أن تحملها بين يديها.

ولا أنا أيضاً. ليس أبداً مرة أخرى.

بالكاد أستطيع سماع صرخات بيدن اليائسة عبر الطنين المستمر في أذنيّ، لكنني أبقيت عينيّ مسلطتين عليها، ولم أجرؤ على إشاحة نظري حتى تغادرني حقاً وإلى الأبد.

كانت عيناها مسلطتين على السماء. تخيلت تينك العينين العسليتين الكبيرتين اللتين أحببتُ أن تقعا عليّ، واخترت أن أتذكرهما بتلك الطريقة.

المتبصرون يركزون عليها الآن، ويعرضون موتها بوضوح على الشاشة أعلاه ليراه الجميع. غطيت فمي بيد مرتعشة، محاولاً كتم شهقتي.

رمشت ببطء نحو السماء فوقها، وجفونها تزداد ثقلاً مع كل رمشة.

إنها تعد النجوم.

انكسرتُ.

كلياً. كل إنش من كياني يتحطم عند هذا الإدراك.

هزت الشهقات جسدي وأنا أتشبث بقضبان الدرابزين، وساقاي ترتجفان فوق الخرسانة.

من الجيد أنني قصصت غرتها. الخصلات المعوجة تقبل جبهتها، مما يسمح لتلك العينين العسليتين برؤية واضحة للنجوم.

النجوم التي تعدها الآن للمرة الأخيرة.

بكيتُ، دون خجل، من أجلها.

من أجل الفتاة التي تشرق ساطعة لدرجة أن الشمس تبدو شاحبة بالمقارنة بها.

من أجل الفتاة التي كنت أتعثر في حبها بقلة حيلة.

من أجل الفتاة التي استحقت نهاية سعيدة.

– «فقط عدي النجوم يا دينا.»

أخرجت الكلمات مختنقاً، وهمست بها للريح التي ستحمل روحها بعيداً عني.

– «فقط عدي النجوم.»

وعددتُ معها.

واحد، اثنان، ثلاثة...

فقط، أنا أعد الثواني التنازلية حتى أتمكن من رؤيتها مرة أخرى.

أربعة، خمسة، ستة...

سأعد حتى أكون هناك في السماء بجانبها.

سبعة، ثمانية، تسعة...

وفجأة تمنيت أن تأتي تلك الثانية عاجلاً.

عشرة، أحد عشر، اثنا عشر...

شعرت بقوتها تومض وتتلاشى.

ثم شاهدتها تموت.

شاهدت الحياة تُستنزف من بشرتها الداكنة، وتسرق النور من عينيها.

انقطع الاتصال. وانزلقت قدرتها من بين أصابعي. لتتركني بارداً ومرتجفاً بدون راحتها.

ولن أشعر بها أبداً مرة أخرى. لن أشعر بها هي أبداً مرة أخرى.

ثلاثة عشر، أربعة عشر، خمسة عشر...

عندما مسحت يد بيدن على عينيها، لتغلق العالم إلى الأبد، وقفت وتعثرت في المسار بساقين مرتعشتين.

ستة عشر، سبعة عشر، ثمانية عشر...

غيمت الدموع رؤيتي؛ وأحرق الغضب دمي. انعطفت نحو نفق خرساني يؤدي إلى العالم الخارجي. عالم بدونها. عالم لم تعد فيه.

ولست متأكداً من قدرتي على العيش في ذلك العالم.

تسعة عشر، عشرون، واحد وعشرون...

ترددت أصداء شهقاتي على الجدران، مغرقة الهتافات من داخل ‹الصحن›. كان يجب أن يكون أنا. أتمنى لو كنت أنا.

اثنان وعشرون، ثلاثة وعشرون، أربعة وعشرون...

إنهم يهتفون. يهتفون وكأن شظية من الشمس لم تحترق للتو أمامهم.

خمسة وعشرون، ستة وعشرون، سبعة وعشرون...

عندما التقت قدماي بالمسار في الخارج، وغمرت الشمس وجهي تماماً، سقطت على ركبتيّ مرة أخرى.

تشبثت بالسترة من حولي، أسحب الغرز المستقيمة تماماً التي تمسكها معاً.

ثمانية وعشرون، تسعة وعشرون، ثلاثون...

لن يتسنى لي أبداً أن أتأملها مرة أخرى وهي تخيط.

سقط رأسي بين يديّ، جامعاً الدموع الساخنة على راحتيّ. ثم مررت أصابعي على السترة مرة أخرى، متتبعاً كل جزء كرمته أصابعها.

واحد وثلاثون، اثنان وثلاثون، ثلاثة وثلاثون... تعثر قلبي عند الشعور بخيط بارز تحت الجيب.

لست بحاجة إلى النظر إليه لأعرف ما يقوله. لست بحاجة إلى قراءة الكلمات لتتدحرج المزيد من الدموع على وجنتيّ.

«أراك في السماء.»

نظرت لأعلى، خانقاً شهقة بكاء.

أربعة وثلاثون، خمسة وثلاثون، ستة وثلاثون...

غمرتني الشمس بالدفء، وكستني بالراحة.

إنها مهدئة. رقيقة. ناعمة.

ابتسمت بحزن. وضحكت رغم الدموع التي لا تزال تلطخ بشرتي.

وها هي هناك، تتفوق في بريقها على الجميع.

بطريقة ما، لطالما كانت هي الشمس. دائماً هي الإشراق الذي وُجد رغم حضور كل هذا الظلام.

سبعة وثلاثون، ثمانية وثلاثون، تسعة وثلاثون...

– «شكراً لاختيارك أقرب نجم يا دينا.»

أخذت نفساً مرتعشاً.

أربعون، واحد وأربعون، اثنان وأربعون...

– «يبدو أنكِ ستظلين بالجوار لتؤنسيني.»

الفصل 23

أدينا

في النهاية، كان كل شيء نوراً وظلاماً، صخباً وهدوءاً.

لم أعرف شيئاً سوى ذكرى أولئك الذين أحببتهم.

أحدهما، صديقة. والآخر، قصة لم تكتمل.

وهذا وحده ما أخذته معي إلى الحياة التالية. لكنني راقبت، دافئة ومشرقة وعالياً في السماء.

تماماً كما وعد.

عن المؤلفة

عندما لا تكون لورين منشغلة بكتابة عوالم الفانتازيا وصياغة الحوارات المليئة بالمماحكات الذكية بين العشاق، فمن المرجح جداً أن تجدها متقوقعة في سريرها تقرأ عنها. أمضت لورين حياتها بأكملها في ولاية ميشيغان، مما جعلها شديدة الألفة مع حفر الطرق، والثلوج، والأنشطة المتنوعة المرتبطة بالبحيرات. تجمع هواياتها بين اهتمامات الجدات والأطفال في آنٍ واحد؛ أي أنها تهوى: الحياكة، ولعبة حرب الليزر، والاسترخاء في الأراجيح الشبكية، وألعاب البحث عن الكلمات، والتلوين. تُعد رواية Powerless (بلا قوة) هي عملها الروائي الأول، وتأمل أن تحظى بامتياز كتابة الكلمات الجميلة طيلة حياتها. إذا كنت تستمتع بالنقاشات الحماسية (الثرثرة)، والقراءة، والكتابة، يمكنك العثور على لورين عبر منصتي تيك توك وإنستغرام على المُعرّف Laurens1ibrary@ للاستمتاع بمحتواها الترفيهي.

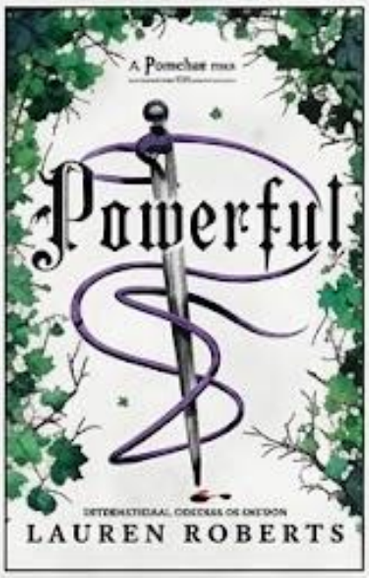

قصة جديدة مشوّقة ومفعمة بالإثارة، تدور أحداثها في مملكة إليا

لطالما كانت أديبًا وبيّدن صديقتين لا تفترقان، جمعتٍ بينهما الأقدار في سنٍ مبكرة، غير أن الصداقة هي ما تكفلت بأن تذود كلٌ منهما عن الأخرى دومًا، وأن تصون معًا المنزل الذي شيدتاه في عشوائيات زقاق الغنائم.

لكن الآن، فقد وقع الاختيار على بيّدن -وهي من العاديين- لخوض ألعاب التطهير، التي تؤول غالبًا إلى الموت المحتم، أما أديبا، وقد باتت وحيدة في زقاق الغنائم، فلم يعد أمامها الآن سوى الاعتماد على نفسها. وعقب محاولتها السرقة لتنجو، يظهر شاب غامض من السوق لإنقاذها، ماك. بماضيه الغامض وقوته الخفية، عاش في زقاق الغنائم منعزلًا عن الطبقة الدنيوية من أفراد النخبة. وبينما يتكاثف الثنائي معًا بحثًا عن إحباتهما قبل موعد الألعاب، تصبح الرحلة اختبارًا للولاء، والحب، والنجاة.

تصميم الغلاف: Bob Lea

امسح الكود للنسخة الإلكترونية

ISBN 978-1072-17-129-2
6 281072 171292
202210469

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE